

المركز الأرثوذكسى
للدراسات الآبائية بالقاهرة
نصوص آبائية - 90

حوار حول الثالوث

الجزء الثانى (الحوار الثالث)
للقدیس کیرلس عمود الدین

الترجمة عن اليونانية
والمقدمة والتعليقات

المراجعة

د. نصحي عبد الشهيد والفهارس
د. جوزيف مورييس فلتس
يونيو 2005

اسم الكتاب	: حوار حول الثالوث: الجزء الثانى (الحوار الثالث)
اسم المؤلف	: القديس كيرلس عمود الدين
ترجمة	: د . جوزيف موريس فلتس
اسم الناشر	: مؤسسة القديس أنطونيوس . المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية بالقاهرة: 8 (ب) ش إسماعيل الفلكى محطة المحكمة مصر الجديدة ت: 2414023
اسم المطبعة	: دار يوسف كمال للطباعة
رقم الإيداع	: 2 ش المدارس . حدائق القبة 4827074 . 4865378
الترقيم الدولى	:

E-mail: santonio@link.net

قداسة البابا شنودة الثالث
بابا الأسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية

المحتويات

٢٧ تقديم الناشر 00000000000000000000000000000000

٢٨ المقدمة 00000000000000000000000000000000

٢٨ القديس كيرلس 00000000000000000000000000000000

٢٩ كتاب حوار حول الثالوث 00000000000000000000000000000000

١٢ النص اليوناني والترجمة 00000000000000000000000000000000

١٢ مراجع الهوامش 00000000000000000000000000000000

١٥ الاختصارات 00000000000000000000000000000000

١٨ التعليم عن الثالوث 00000000000000000000000000000000

١٦ I . عقيدة الثالوث القدوس المساوى فى الجوهر 0000

٢٢ II . تعاليم القديس كيرلس عن عقيدة الثالوث 000000

٢٤ III . عمل الابن المتجسد فينا يشهد لإلهيته 000000

٤١ IV . الربوبية الواحدة للآب والابن 000000000000

1 الحوار الثالث 00000000000000000000000000000000

1 هل الابن هو إله حقيقى كما أن الآب إله حقيقى؟ 0000

15 أمثلة عن شركة الخصائص الذاتية للآب والابن 000000

15 المثال الأول 00000000000000000000000000000000

22 طبيعة الروح القدس 00000000000000000000000000000000

25 المثال الثانى 00000000000000000000000000000000

صيغة الجمع فى الآية "نعمل الإنسان على صورتنا
كشبهها" 00000000000000000000000000000000

25 هل الابن أقل من الآب المُشَرَّع؟ 00000000000000000000000000000000

31

الابن له خصائص طبيعة الذى وَلَدَهُ
هل الابن هو اقل من الآب لأنه قد أُعْطِيَ اسمًا؟
هل بنوة الابن للآب هى بنوة حسب الطبيعة أم أنها بنوة
بالتبنى وأنها هبة بالروح القدس؟
الروح القدس هو روح الابن مثلما هو روح الآب
رأس كل رجل هو المسيح... ورأس المسيح هو الله
رائحة المسيح الزكية فينا هى شهادة لإلهيته
الفهارس
فهرس الشواهد الكتابية
فهرس لأهم الكلمات والأفعال
فهرس التشبيهات
فهارس النصوص الأبائية

تقديم الناشر

نشر المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية الجزء الأول من كتاب "حوار حول الثالوث" للقديس كيرلس سنة 1999م مشتملاً على الحوارين الأول والثاني. والآن يقوم المركز بنشر الجزء الثاني من كتاب "حوار حول الثالوث" مشتملاً على الحوار الثالث فقط.

وقام بترجمة هذا الحوار عن اللغة اليونانية، د. جوزيف موريس فلتس، وقد بذل جهداً كبيراً في دراسته، وعمل ملاحظات قيّمة في الهوامش على العديد من النقاط التي وردت في الحوار، كما أعدّ مقدمة وافية عن تعاليم القديس كيرلس العقائدية كما جاءت في هذا الحوار مبيناً اعتماده على تعاليم القديس أثناسيوس الرسولي عن عقيدة الثالوث القدوس، كما زوّد الكتاب بفهارس للكلمات الهامة والشواهد الكتابية والتشبيهات وأيضاً بفهارس للنصوص الآبائية. ويتبقى بعد هذا الحوار أربعة حوارات من الكتاب يتم ترجمتها ونشرها على التوالي بمشيئة الله.

فليبارك الله في هذا الكتاب لأجل بنيان كنيسته بشفاعته والدة الإله القديسة العذراء مريم وصلوات القديسين أثناسيوس الرسولي وكيرلس عمود الدين وجميع الآباء القديسين، وصلوات قداسة البابا شنودة الثالث والآباء والمطارنة والأساقفة ولإلهنا الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس كل مجد وسجود وتسبيح الآن وإلى الأبد آمين.

المركز الأرثوذكسي
لِلدراسات الآبائية

15 مايو 2005م

7 بشنس 1721ش

تذكار نياحة القديس أثناسيوس الرسولي

المقدمة

القديس كيرلس:

القديس كيرلس الأسكندري المعروف بعمود الدين هو أحد أبرز الآباء المعلمين في الكنيسة الجامعة في القرون الأولى للمسيحية. وبالنسبة لكنيستنا القبطية الأرثوذكسية فهو أبرز معلمها بعد القديس أثناسيوس الرسولي. ومن المعروف أن القديس كيرلس قد صار بطريركًا لكرسى مار مرقس بالإسكندرية سنة 412م، وظلَّ يخدم الإيمان ويقوم بالرعاية الأمنية حتى انتقاله سنة 444م.

في هذه الفترة التي تبلغ 32 عامًا، كتب القديس كيرلس عشرات الكتب في الدفاع عن الإيمان المستقيم، وفي شرح الكتاب المقدس بعهديه، وغيرها من الرسائل والعظات وموضوعات أخرى¹.

وقد درج الباحثون في علم الآباء على تقسيم كتابات القديس كيرلس إلى مرحلتين: مرحلة ما بعد ظهور النسطورية، ومرحلة ما قبل ظهورها.

ففي مرحلة ما بعد ظهور النسطورية (444-428م) كرّس ق. كيرلس معظم كتاباته للدفاع عن التعليم الصحيح حول طبيعة المسيح ضد البدعة النسطورية، وهو الدفاع الذي صار سببًا في شهرته بلقب عمود الدين. ولكن القديس كيرلس كان مدافعًا عن الإيمان المستقيم من قبل ظهور البدعة النسطورية.

¹ انظر عرضًا مفصلاً عن حياة القديس كيرلس وكتاباته للدكتور نصحي عبد الشهيد في مقدمة كتاب "شرح إنجيل يوحنا" للقديس كيرلس، الجزء الثانى. وكتاب "القديس كيرلس حياته وأعماله" وهما من إصدارات المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية عام 1995، 1998.

ففي المرحلة الأولى من خدمته (412 . 428م)، أى ما قبل ظهور البدعة النسطورية، دافع ق. كيرلس أيضاً عن الإيمان المستقيم إذ أنه كان قد انشغل . في قسم من هذه المرحلة . بالدفاع عن إلهية المسيح ابن الله ومساواته للآب في الجوهر ضد البدعة الآريوسية، وذلك في كتابين هما " الكنز في الثالوث "، " حوار حول الثالوث " .

كتاب " حوار حول الثالوث ":

+ كتاب " حوار حول الثالوث " الذي يقوم المركز بنشر الجزء الثاني منه الآن، كتبه القديس كيرلس حوالى سنة 425م بعد كتاب "الكنز في الثالوث" بوقت قليل .

ويهدى القديس كيرلس كتابه " حوار حول الثالوث " إلى شخص يدعى "تيميسيوس" وكان ذلك في حياة بطريرك القسطنطينية اتيكوس، كما يشهد بذلك القديس كيرلس نفسه، وذلك في رسالته الثانية إلى نسطور فيقول: [... وفي الحقيقة أقول ذلك إنه بينما كان اتيكوس¹ ذو الذكر السعيد لا يزال حياً، فإنى قد كتبت كتاباً عن الثالوث القدوس الواحد في الجوهر، وقد ضمنته مقالاً عن تأنس الابن الوحيد وهو يتفق مع ما كتبتة الآن². ولهذا فقد كتب ق. كيرلس هذا الكتاب على الأكثر عام 425م، ويشبه مضمون هذا الكتاب، مضمون كتاب "الكنز في الثالوث" إلا أنه أكثر تفصيلاً، ولا نعرف السبب الذي جعله يعود للكتابة عن نفس الموضوع بمثل هذا الاسهاب، لكن من المحتمل أن يكون كتابه الأول "الكنز في الثالوث" قد كان صعباً على جمهور

¹ اتيكوس بطريرك القسطنطينية قبل نسطور من سنة 406 . 425م.

² رسائل القديس كيرلس . ترجمة د. موريس تاوضروس، د. نصحي عبد الشهيد. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، الجزء الثاني سنة 1998 ص 29.

القاء العريض، ولهذا فقد اجتهد ق. كيرلس في أن يعمل على تبسيط تعليمه وشرحه بتفصيل وإسهاب أكثر. وكما تشهد الرسالة المشار إليها فإن هذا الكتاب كان قد قُرء جزء منه أمام عددًا كبيرًا من الأساقفة والكهنة والمؤمنين في القسطنطينية، وربما كان هذا قد تم من خلال سلسلة من العظات.

ولسهولة الشرح اتبع القديس كيرلس طريقة الحوار، وقد قسّم الكتاب إلى سبعة حوارات. ستة منها خاصة بإلهية الابن وحوار واحد عن الروح القدس. وقد قُسمت الموضوعات الرئيسية إلى وحدات أصغر وذلك من خلال أسئلة يوجهها إلى شخص افتراض وجوده وأعطى له اسم إرميا ورمز له بالرمز (A) وأيضًا من خلال إجابات منه على هذه الأسئلة أعطاها الرمز (B)¹.

ويظهر من الأسئلة التي وضعها ق. كيرلس على فم إرميا بأن الأخير شخص اعتباري مُحِب للسلام شغوف بالمعرفة وذو قلب نقي²، يعكس من خلال أسئلته آراء المخالفين بدون أن يؤمن هو نفسه بها³. هذه الطريقة أعطت للقديس كيرلس الفرصة كي يُعبر بوضوح واستفاضة عن تعاليم الإيمان القويم من خلال الأجوبة، أو كما يقول القديس كيرلس نفسها "الإجابات تميّز الأفكار المختلفة فتبنى بعضها وتهدم البعض الآخر"⁴.

والمعروف أن هذه الطريقة (الأسئلة والإجابة) كانت محببة عند الفلاسفة اليونانيين قبل المسيحية، وقد أستخدمت بواسطة آباء الكنيسة في العصور

¹ احتفظنا في الترجمة بأسماء إرميا وكيرلس بدلاً من الرموز A و B.

² أو كما يصفه ق. كيرلس "المجتهد والمؤهل للخوض في هذه القضايا بسبب علمه وبحثه الدائم" الحوار عن الثالوث، الحوار الأول. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية 1999 ص 11.

³ يقول كيرلس لإرميا: "قل ما شئت إذًا، ولن أعتبر ما نقوله هو تعبير عن إيمانك بل هو يمثل آراء المخالفين" انظر ص 38.

⁴ انظر ص 12.

الأولى، وفي الكتابات الكنسية في عصور متأخرة. وقد استخدمها ق. كيرلس نفسه في كتابين آخرين هما: "السجود والعبادة بالروح والحق" و"تأنس الابن الوحيد".

وكما سبق القول فإن ق. كيرلس يتحدث في ستة من هذه الحوارات عن إلهية الابن المتجسد. وهذا يتضح بالأكثر من عناوين هذه الحوارات التي أوردها هو نفسه في مقدمة كتابه وهي كالآتي:

1. الابن أزل مع الله الآب ومساوٍ له في الجوهر.
 2. الابن أزل مع الله الآب ومولود منه بالطبيعة.
 3. الابن إله حقيقي كما أن الآب إله حق.
 4. الابن ليس مخلوقاً أو مصنوعاً.
 5. كل خواص الألوهة ومجدها، كائنة في الابن بالطبيعة تماماً مثل الآب.
 6. خواص الطبيعة البشرية وما يتبعها، لا تنسب للطبيعة الإلهية وحدها، بل تنسب للابن بالجسد، حسب التدبير، وهذه الخواص البشرية ليست من طبيعة الكلمة، الذي في الواقع، هو الله.
- أما الحوار السابع فإنه يختص بالحديث عن إلهية الروح القدس ويحمل العنوان التالي:
7. الروح القدس هو الله ويصدر من الله حسب الطبيعة¹.

النص اليوناني والترجمة:

وما ننشره الآن هو الجزء الثاني فقط من كتاب "حوار حول الثالوث" ويشمل الحوار الثالث من هذه الحوارات السبع، وسنوالى نشر باقي الحوارات

¹ يوجد نص آخر لهذا الحوار السابع تحت عنوان " تجميع ما قيل عن الروح القدس بالإضافة لبعض المفاهيم الأخرى " وقد كتبه ق. كيرلس فيما بعد. PG. 75.1124-1145

في أجزاء مقبلة بمشيئة الله.

يوجد النص اليوناني الأصلي لهذا الحوار بمجموعة الآباء الذين كتبوا باليونانية والمعروفة بـ:

مجموعة باترولوجيا جريكا . ميني في مجلد 75، P.G. 75: 787-860. وأيضاً في المجلد رقم 237 من السلسلة الصادرة في باريس عام 1976، "المصادر المسيحية" Sources Chretiennes ص 137.11.

وتمت الترجمة عن النص اليوناني الموجود في سلسلة آباء الكنيسة اليونانيين EPE إصدار Tò Buzantiòn `` . تسالونيكي عام 2002 مجلد رقم 8 ص 301.198. والعناوين الجانبية من وضع المترجم.

مراجع الهوامش:

استعنا في كتابة المقدمة والهوامش والتعليقات على النص المترجم بالمراجع التالية:

أولاً : النصوص آبائية:

≡ للقديس كيرلس:

1. شرح إنجيل يوحنا.
2. شرح إنجيل لوقا.
3. تعليقات لامعة على سفر التكوين 2، 3.
4. السجود والعبادة بالروح والحق.
5. حوار حول الثالوث 1، 2.
6. رسالة 17، 55.

≡ للقديس أنثاسيوس:

1. ضد الوثنيين.

2 . تجسد الكلمة.

3 . المقالات ضد الآريوسيين.

4 . رسائل إلى الأسقف سربليون عن الروح القدس.

△ للقديس غريغوريوس النيسي:

ضد أفنوميوس: 8.

△ للقديس أمبروسيو أسقف ميلانو:

عن الروح القدس.

△ للقديس هيلاري أسقف بواتيه:

عن الثالوث 2:2، 5.

△ رسالة برنابا

△ للقديس يوستينوس المدافع والشهيد:

الحوار مع تريفو

△ للعلامة ترتليان:

ضد الهرطقات

△ للقديس يوحنا ذهبي الفم:

العظة الثانية على سفر التكوين

△ الخولاجي المقدس.

ب - الدراسات:

- 1- R. Mel. Wilson, st. Andrews: The Early History of the Exegesis of Gen. 1.26. in Studia Patristica. Vol 1. 1957. p. 420-437.
- 2- Walter J. Burgharht: The Image of God in Man according to Cyril of Alexandria, Mary Land, 1957.

- 3- Trinity: in the encyclopedia of Early Christianity, second edition, 1998. p. 1143.
- 4- Tomas F. Torrance, The Trinitarian Faith. T.&T. Clark. Edinburgh 1988.
- 5- The Faith, Clark Cariton, Salisbury, AM, 1997, p. 53.
- 6 .د. نصحي عبد الشهيد: الروح القدس عند ق. كيرلس. في كتاب "الروح القدس عند الآباء" مركز دراسات الآباء. 1994.
- 7 .د. جوزيف موريس فلتس: الآباء والعقيدة. دراسات آبائية ولاهوتية. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية. السنة الأولى. العدد الأول سنة 1998 ص 17..27
- 8 .د. جوزيف موريس فلتس: أمثلة لتفسير الآباء لآيات الكتاب المقدس. دراسات آبائية ولاهوتية. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، السنة الثامنة، العدد الخامس عشر يناير 2005 ص 44..53
- 9 .د. جوزيف موريس فلتس: تعاليم عقيدية في الصلوات الليتورجية. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية. أكتوبر 2004.

الاختصارات:

EPE: Ellhnej Patšrej tĀj 'Ekkhlhs...aj.

``To Bnzantion ``.

P.G.: J.P. Migne, Patrologiae Corpus completes,
series Graeca, Paris 1857-1866.

ج: جزء

ح: حوار

س: ترجمة سبعينية

ص: صفحة

م: مقدمة

التعليم عن الثالوث

I - عقيدة الثالوث القدوس المساوى في الجوهر:

نحاول أولاً إيضاح أهمية عقيدة الثالوث القدوس لإيماننا المسيحي وحياتنا وخلصنا وكيف علم آباء الكنيسة . وبالأكثر ق. أثناسيوس . عنها لأن كتاباته العقيدية كانت هي مصدر أساسي لتعاليم ق. كيرلس عن هذه العقيدة الخلاصية، بل أن الأخير قد اتخذ منهج ق. أثناسيوس في فهم وشرح عقيدة الثالوث . كما سنرى بالتفصيل فيما بعد . منهجاً له .

إن عقيدة الثالوث القدوس، أى الآب والابن والروح القدس، الأفانيم الثلاثة المتساوون في الجوهر وذوو القداسة الكلية، هي الأساس الراسخ لكل فكر ديني وتقوي ولكل الحياة والخبرة الروحية، فالنفس المسيحية في بحثها عن الله هي في الواقع تبحث وتفتش عن الثالوث¹ .

وعقيدة الثالوث القدوس ليست من اختراع بشر، بل هي حقيقة أعلنها الله نفسه لأجل خلاص الإنسان، أو كما يدعوها ق. غريغوريوس النيسي بـ "العقيدة الخلاصية"²، لأنها عطية الله لنا لأجل خلاصنا . وبالتالي فعقيدة الثالوث . مثلها مثل كل العقائد الإيمانية . ليست هي نتيجة لفكر بشري بل أن جذورها هي في الاعلان الإلهي، ومنه تستمد كل تعاليمها وبه ترتبط كل الارتباط . وبحسب التعليم الأرثوذكسي فإنه لا توجد عقيدة غير نابعة من ذلك الاعلان الإلهي الذي تم في المسيح يسوع " فإله لم يعرفه أحد قط، الابن الوحيد الذي في حضنه هو الذي خبر"³ . والابن وكلمة الله، عندما أُستعلن،

¹ The Faith, Clark Cariton, Salisbury, AM, 1997, p. 53.

² رسالة 24 PG. 46.1089A

³ يو 1: 18

كشف لنا سر الثالوث فهو الذي "أظهر لنا نور الآب وأعطانا شركة الروح القدس الحقيقية"¹. لهذا فإن الإنسان لا يستطيع بقوته أن يكتشف الحقيقة، فالعقل المحدود لا يستطيع أن يدرك الحقيقة التي هي فوق كل إدراك. وبالتالي فعقيدة الثالوث ليست هي نتيجة أفكار بشرية وليست لها علاقة بالمعرفة والحكمة البشرية، والمعرفة البشرية بالتالي ليست هي مصدر عقيدة الثالوث كما أنها لا يمكن أن تكون حكماً عليها، كما أن لا التاريخ ولا الخبرة الدينية يمكن أن تفعل هذا. فعقيدة الثالوث ليست هي ثمرة تجارب أو خبرات تاريخية ودينية. فالإنسان لا يستطيع أن يصل إلى هذه العقيدة بل هي أُعطيت للإنسان. فأصلها أبعد من قدرات الإنسان إذ هي واقع آخر يفوق واقعه الحالي وتختلف عنه في النوع. فالمسيح الإله الحيّ هو الذي أعلن وكشف لنا عن هذه الحقيقة. وهدف كل عقيدة هي الحياة في المسيح. ولهذا فهذه العقيدة أو بمعنى آخر هذه الحقيقة قد أُعطيت للإنسان لكي تقوده إلى علاقة مع الله مثلث الأقانيم وشركة في حياة الثالوث القدوس كما يقول ق. يوحنا "أما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح"² في الروح القدس.

ولقد أدرك آباء الكنيسة تلك الحقيقة وعاشوها، لهذا نجد مثلاً أن القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات يصف عقيدة الثالوث القدوس بأنها "رأس الإيمان" وبشدد القديس أثناسيوس أيضاً على أن الكنيسة قد تأسست على الإيمان بهذه العقيدة والتي بدونها لا يمكن أن يكون المرء مسيحياً فيقول "دعونا ننظر إلى تقاليد الكنيسة وتعليمها وإيمانها الذي هو منذ البداية والذي

¹ هكذا نصلي في القديس الغريغوري.

² 1يو 1: 4

أعطاه الرب وكرز به الرسل وحفظه الآباء وعلى هذا الأساس تأسست الكنيسة ومن يسقط منه فلن يكون مسيحياً ولا ينبغي أن يدعى كذلك فيما بعد وإذا يوجد ثالث قدوس وكامل يعترف بلاهوته في الآب والابن والروح القدس¹.

لقد أوصى الرب القائم من بين الأموات، تلاميذه عندما التقاهم في الجليل بعد القيامة قائلاً: " اذهبوا وتلمنوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس"²، وهذا الإيمان بالثالوث هو الذي أعطاه الرب وكرز به الرسل وحفظه الآباء كما قال ق. أنثاسيوس، غير أن حقيقة الثالوث لم تبدأ بتجسد الابن الوحيد، بل هي حقيقة أبدية، إذ نجد أن في العهد القديم نصوصاً استشف منها الآباء ما يوضح حقيقة الثالوث مثل قول الرب في صيغة الجمع " لنخلق الإنسان على صورتنا كشبهنا"³، غير أنه بتجسد الابن الوحيد استعلنت طبيعة الله وحقيقته، وكُشف لنا سر الثالوث القدوس كاملاً.

وبالرغم من أن الرسل قد آمنوا ثم كرزوا بما آمنوا به وعلموا وتلمنوا كثيرين على هذه العقيدة الخلاصية إلا أن عقيدة الثالوث قد تعرضت على مر العصور الأولى للمسيحية لهجوم كثير من الهراطقة الذين علموا بأفكار متعددة وخاطئة، فمنهم من اتهم المسيحيين بأنهم يعبدون ثلاثة آلهة مثلهم مثل الوثنيين الذين كانوا يؤمنون بتعدد الآلهة، ومنهم من أنكر عليهم إيمانهم بالوهمية الابن المتجسد، فأنكروا علاقته الجوهرية بالآب وغيرهم من الذين

¹ الرسائل عن الروح القدس إلى الأسقف سريبيون، ترجمة د. موريس تاوضروس د. نصحي عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية 1994. الرسالة الأولى: 28.

² مت 28:19.

³ مت 28:19.

بعدما أنكروا إلهية الابن حاسبين إياه من بين المخلوقات، تحول هجومهم ضد الأقنوم الثالث فأنكروا إلهية الروح القدس.

وهذه التعاليم الخاطئة سواء كانت ضد إلهية الابن أو إلهية الروح القدس، هي في الواقع موجهة ضد عقيدة الثالوث القدوس لأن إنكار إلهية أى من الأقانيم الثلاثة هو إنكار لعقيدة الثالوث كلها حتى وإن كانت الهرطقات قد وجهت سهامها إلى أقنومي الابن والروح القدس فقط.

هذا ولقد وصلت هذه التعاليم الخاطئة إلى ذروتها بظهور بدعة أريوس الذي أنكر إلهية الابن، الأمر الذي واجهته الكنيسة بكل حزم وشدة متمثلة في موقف ق. أثناسيوس وقرارات مجمع نيقية الأول 325م والذي حدّد موقف الكنيسة وإيمانها بإلهية الابن المتجسد ومساواته في الجوهر لله الآب. وأيضًا بظهور بدعة مقدونيوس التي أنكرت إلهية الروح القدس فجاء انعقاد المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية 381م ليعبّر عن إيمان الكنيسة الجامعة بربوبية الروح القدس المحيي والمسجود له مع الآب والابن.. وهكذا استطاع الآباء أن يحدّدوا صياغة عقيدة الثالوث ويردوا على التعاليم الخاطئة التي علّم بها الهرطقة سواء عن طريق الصياغة التي أقرّوها في مجمعي نيقية والقسطنطينية أو في كتاباتهم الدفاعية التي سجلوا فيها تعاليمهم عن إلهية الابن وولادته الأزلية من الآب ومساواته في الجوهر للآب والروح القدس، أو تلك التي سجلوا فيها تعاليمهم عن إلهية الروح القدس وانبثاقه من الآب وإرساله بالابن وأنه من ذات جوهر الآب والابن.

ولقد كان القديس أثناسيوس الرسولي من بين هؤلاء الآباء الذين دافعوا عن عقيدة الثالوث. غير أن دفاعه عن إلهية أقانيم الثالوث قد تميّز ببعده الخلاصي والكياني، فمن الواضح تمامًا أن مدخل ق. أثناسيوس إلى فهم

وشرح عقيدة الثالوث القدوس كان يقوم على أساس أعمال الله الخلاصية والإعلانية التي تحققت في ظهور ابنه الوحيد بالجسد. ومن خلال مفهوم "هوموأوسيوσ $\delta\mu\omega\upsilon\sigma\iota\omicron\varsigma$ " كان القديس أثناسيوس يصل إلى العلاقات الأزلية والتمايز داخل جوهر اللاهوت الواحد¹.

لقد كان شغله الشاغل . وهو يرد على الآريوسيين الذين أنكروا إلهية الابن المتجسد . هو أن يحافظ على ما أتمه المسيح من أجلنا ومن أجل خلاصنا . فلو لم يكن المسيح هو الله بالحقيقة كما أن الآب هو الله بالحقيقة (بسبب وحدتهما في الجوهر) لما كان في الإمكان أن نعرفنا بالآب أو أن يفدى البشرية من الموت والفساد ولو لم يكن الابن هو الإله الذي تجسد لما كان ممكناً . عندما اتحد بطبيعتنا . أن يعطينا الحياة الإلهية أى حياة الثالوث. وأيضاً كان هذا البُعد الخلاصي لفهم وشرح عقيدة الثالوث القدوس واضحاً جداً في رسائل ق. أثناسيوس عن الروح القدس والتي كتبها بين عامي 356، 361 بناء على طلب من صديقه سرابيون أسقف تيمي من أجل الرد على رفض أنصاف الآريوسيين²، لألوهية الروح القدس على أساس بدعة تقول إنه من "جوهر مختلف $\sigma\tau\epsilon\rho\omega\upsilon\sigma\iota\omicron\varsigma$ " عن الآب والابن.

¹ Tomas F. Torrance, The Trinitarian Faith. T.&T. Clark. Edinburgh 1988. p.305

أى أن ق. أثناسيوس كان يبدأ في إيضاح عمل الله التدبيري . في حياة الإنسان . بواسطة المسيح، ومن المسيح . الألقوم الثاني . يصل بعد ذلك من خلال " الهوموأوسيوσ " (الوحدانية في ذات الجوهر الذي للآب والابن والروح القدس) إلى العلاقات الألقومية داخل الثالوث أى العلاقات الداخلية في جوهر الله الواحد.

² كان يتزعمهم يوسابيوس أسقف قيصرية. أصروا على التمييز المشدّد بين الآب والابن، رفضوا مصطلحات مجمع نيقية واعتبروها سابيلية ولأنها لم ترد في نصوص العهد الجديد، إلّا أنهم كانوا= على استعداد لقبول معنى التساوى في الجوهر $\delta\mu\omega\upsilon\sigma\iota\omicron\varsigma$ لكن بتعبير مخالف لهذا تمسكوا بالتعبير "مماثل للآب في كل شئ" وأنكروا فيما بعد ألوهية الروح القدس.

ولأن هذا الإنحراف كان يشكل تهديدًا واضحًا لعقيدة الثالوث القدوس وبالطبع لسر المعمودية . المقدسة وذلك بسبب تمزيقه لوحدة الله . فقد واجهه ق. أنثاسيوس بنفس البراهين الخرسولوجية والخلاصية والكيانية التي استخدمها في جداله الطويل مع الأريوسيين¹ وقد ظل على تأكيده القاطع بأنه من خلال عقيدة إلهية الروح القدس ووحدانيتها في ذات الجوهر (مع الآب والابن) يكتمل فهمنا للثالوث القدوس في فكر الكنيسة وعبادتها².

فكما أننا نأخذ معرفتنا للآب من معرفتنا للابن فهكذا تمامًا ينبغي أيضًا أن نأخذ معرفتنا للروح القدس من معرفتنا للابن، أى من العلاقات الداخلية التي بين الآب والابن والروح القدس في جوهر الثالوث الواحد غير المنقسم³. وكان ق. أنثاسيوس قد أقام حجته الدفاعية على أساس رؤية خلاصية، من منطلق أننا لو لم نكن في الروح القدس نُعطى علاقة مع الله، لما كان للإنجيل أى مضمون حقيقي وهو بالضبط ما كان سيحدث لو لم يكن الابن واحدًا في ذات الجوهر والقدرة مع الله الآب، فكل شئ إذا يرتبط بحقيقة الوجدانية في ذات الجوهر التي للروح القدس والآب والابن. وبما أن الابن هو من جوهر الآب وخاص بجوهره، فكذلك روح الله الذي هو واحد مع الابن (وخاص به) لابد أن يكون معه (أى مع الابن) من جوهر الآب وواحد معه في ذات الجوهر⁴.

II - تعاليم القديس كيرلس عن عقيدة الثالوث:

¹ انظر الرسالة الأولى إلى سربيون: 2.

² T.F. Torrance. Ibid. p.306.

³ انظر الرسالة الثانية إلى سربيون: 43، الثالثة: 1.

⁴ T.F. Torrance. Ibid. p.306.

وأيضًا ق. أنثاسيوس. الرسالة الأولى إلى سربيون 144، 23.

لقد اقتفى ق. كيرلس أثار مَنْ سبقوه من الآباء في محاولاتهم للدفاع عن عقيدة الثالوث. غير أنه تأثر كبيراً بكتابات ق. أثناسيوس الرسولي وخصوصاً تلك التي دافع فيها عن إلهية الابن مثل مقالاته ضد الآريوسيين، وأيضاً تلك التي دافع فيها عن إلهية الروح القدس مثل رسائله إلى الأسقف سرابيون¹، وذلك لأن ق. كيرلس كان على قناعة تامة بأن الدفاع عن إلهية أحد أقانيم الثالوث هو دفاع عن عقيدة الثالوث القدس كله.

ولما كانت مسألة إلهية أقنوم الآب غير واردة في محاورات المعارضين²، فإنه لم ينشغل بها في هذا الحوار³ بل كان كل تركيزه على إيضاح إلهية الابن والروح القدس⁴.

وفي محاولته هذه اقتفى أيضاً آثار ق. أثناسيوس، مشدداً على الآتي:

1. أن إلهية الابن والروح القدس هي بسبب أنهما واحد في ذات الجوهر مع الآب *ὁμοούσιον* فيقول: "إن الابن قد وُلِدَ من جوهر الله الآب وأنه إله

¹ لقد حاولنا إيضاح هذا التأثير من خلال إشارتنا في هوامش الكتاب إلى نصوص ق. أثناسيوس التي شرحت نفس تعاليم ق. كيرلس. وخصصنا فهرس للوصول بسهولة إلى هذه النصوص وإلى نصوص آباءية أخرى.

² [إرميا: يقولون إنه واحد هو الإله الحقيقي وهو الآب ومعه لا يحسبون آخر .

كيرلس: وبالتالي وحسب ما يقوله هؤلاء فإن الابن والروح القدس لا يحسب أي منهما إلهًا حقيقيًا بل يحسبونهما ضمن المخلوقات العديدة والتي . حسب قولهم . لها نفس طبيعة الابن وهي بعيدة كل البعد عن جوهر الله الآب] ص22.

³ فيقول: [لأننا نتكلم في الوقت الحاضر عن ولادته الإلهية التي لا توصف وأن الابن لم يأتِ إلّا من الآب إذ ولد من جوهر الله الآب، فما هو الأمر الذي يجعل المعارضين يؤمنون بأن الله هو واحد، الذي هو الآب وأنه إله حق، ولا يحسبون معه أحدًا آخر بالمرّة، بل ويبعدون الألوهة الحقّة عن طبيعة الابن الوحيد والحقيقي ذاتها] انظر ص2.

⁴ بالرغم من عدم تعرضه هنا باستفاضة لإثبات إلهية الروح القدس حيث إنه قد خصص الحوار الأخير من حواراته السبعة لهذه المسألة.

حق من إله حق وأنه لم يولد من طبيعة غريبة ومختلفة وأن له كل ما للآب حسب الجوهر عدا كونه أبًا وإذ نحصى الروح القدس مع الآب والابن في الألوهة الواحدة فإننا هكذا نسجد لثالوث واحد مساوي في الجوهر الإلهي¹.

2 . " الابن لم يأت إلّا من الآب إذ ولد من جوهر الله الآب "².

3 . " الابن بطبيعته مختلف عن كل الآلهة المخلوقة ولا يحسب ضمن المخلوقات إذ هو كائن دائمًا مع أبيه وهو يدرك دائمًا مع الذي ولده في طبيعة إلهية واحدة "³.

4 . إننا قد اعتمدنا باسم الآب والابن والروح القدس وبالطبع أننا لا نؤمن بثلاثة آلهة لكن بألوهة واحدة ممجدة في الثالوث الأقدس "⁴.

وفي موضع آخر يرد على الذين يتساءلون عن كيفية أن يكون الله واحد بينما نقول إن لكل من الآب والابن أقنومه الخاص، فيقول " إن ما يساعدنا في فهم هذا الأمر هو أن نأخذ في الاعتبار حقيقة وحدة الجوهر تلك الوحدة التي بها يكون للأقنومين جوهر واحد مع حفظ كل ما يخص كل منهما كأقنوم "⁵.

III - عمل الابن المتجسد فينا يشهد لألوهيته:

سبق أن أوضحنا أن القديس أنثاسيوس كان يدافع عن إلهية الابن . وبالتالي عن أقانيم الثالوث . من خلال إيضاح عمل الفداء الذي أتمه الابن

¹ انظر ص10.

² انظر ص2.

³ انظر ص7.

⁴ انظر ص12.

⁵ انظر ص14.

المتجسد من أجلنا ومن أجل خلاصنا مبيِّناً أنه إن لم يكن الابن رباً وإلهاً لم استطاع أن يأخذ ما لنا ويهبنا ما له، وهنا نجد أن ق. كيرلس يتبع نفس هذا المنهج الأسكندري الذي يجعل من عقيدة الثالوث التي نؤمن بها واقعاً حياً وملموساً في حياتنا، بواسطة عمله فينا هذا من جهة، ومن جهة أخرى يمكننا أن نشهد من خلال أعمالنا أن مَنْ نؤمن به هو الله الواحد الآب والابن والروح القدس.

والجدير بالذكر أن ق. كيرلس لم يستخدم لهذا الغرض، فقط نصوصاً كتابية كان قد رجع إليها ق. أثناسيوس، لكنه استخدم بجانبها نصوصاً كتابية أخرى رأى فيها دليلاً واضحاً على إلهوية الابن من خلال عمله فيها، وفي نفس الوقت تبين وحدة الجوهر للآب والابن وكمثال لهذه النصوص الأخرى نستعرض الآتي¹:

1 . في قول بولس الرسول في رسالة أفسس عن الله **الذي قد مدّ يده لك** غنى **لك** وعن الاين أنه هو الذي **يُليّ لك** غنى **لك** ³.

يرى ق. كيرلس أن هذا القول يجعلنا [أن نفكر بأنه إن لم يكن الواحد منهما في الآخر جوهرياً فحينئذٍ فإن ملء الكل بواسطة الابن سيكون لا لزوم له لأن الملء سيكون كافياً بواسطة الابن أو عكس ذلك إذ أنه إن كان الله الآب يملأ الكل فحينئذٍ سيكون الملء المعطى للكل من الابن بدون داع طالما أن الآب كان قادراً أن يملأ الكل]⁴. ويجب أن نلاحظ هنا تشديده

¹ استعرضنا هذه الشواهد هنا بالترتيب الوارد في الحوار ولم نتعرض هنا في المقدمة للنصوص التي سبق أن استخدمها ق. أثاناسيوس.

.28:15 1²

٣ أف ٢٣:١

⁴ انظر ص 16.

على مفهوم الاحتواء المتبادل للأقنيم داخل الجوهر الواحد، لأن هذا المفهوم يدخل ضمن مفهوم القديس أثناسيوس عن العلاقة بين الآب والابن والتي عبّر عنها بمصطلح هوموأوسيوس $\text{Dmoo}\bar{\text{U}}\text{sioj}$ والذي عبّر بصورة دقيقة وقاطعة عن الوجدانية في ذات الجوهر والعمل بين الابن المتجسد والله الآب والتي يُبنى عليها كل شيء في الإنجيل.

2. "هلم لنمجدح م ج لى م آخ م²".

شاهد كتابي آخر اعتمد عليه ق. كيرلس لإيضاح نفس الحقيقة هو ما جاء على لسان القديس يوحنا اللاهوتي في الإنجيل "ومن ملئه نحن جميعاً /أخذنا " فبعدما فند حجج المعارضين وإنكارهم للإلهية الابن، تساءل في استنكار [إن لم يكن للابن طبيعة مساوية لطبيعة الآب، طالما أن الابن . حسب ما يعتقد هؤلاء . أقل في جوهره من جوهر الآب، فلا أعرف كيف سيفعلان (أى الآب والابن) شيئاً في داخلنا طالما أن الابن غير مساوٍ (للآب) ومتغير في كل شيء، وحينئذٍ كيف سيمكن اعتبار أن ملء الآب والابن قد تم فينا؟]³.

3. "وَم آخ ملى آخ ملى قلا لى هى ح ن آلى لى ملى ملى ملى مشط لى لى

¹ بالنسبة للقديس أثناسيوس كان مفهوم هوموأوسيوس يحمل في طياته مفهوم علاقة التواجد (الاحتواء) المتبادل للأقنيم داخل جوهر الله الواحد، والتي أشار إليها اعلان الله عن ذاته في تدبير الخلاص. ولم يكن هذا التواجد المتبادل يعني مجرد ارتباط أو اتصال متبادل بين الأقنيم الثلاثة الإلهية، ولكنه كان يعني السكنى الكاملة المتبادلة بينهم. فبينما كل أقنوم يظل "كما هو" محتفظاً بتمايزه كأب أو ابن أو روح قدس إلا أنه يكون بكامله في الآخرين كما أن الآخرين هما بالكامل فيه" انظر أيضاً T.F. Torrance. Ibid. p.306.

² يو 1:16

³ انظر ص 19.

"¹. دليل آخر على إلهية الابن ومساواته للآب في الجوهر هو سكنى الإله الواحد فينا. لأن المعارضون فهموا من الآية أنه يسكن فينا إله واحد هو الآب ولكن ليس معنى ذلك أن كون الابن هو إله فإنه يسكن فينا إلهان، ولهذا فَنَد ق. كيرلس هذه الأفكار الخاطئة وأوضح إيمان الكنيسة بقوله: [نحن نتفق على أن طبيعة الألوهة واحدة، وأن الابن ليس كما يقولون هؤلاء غريب عن الآب، وإنه إله حقيقي يأتي منه ويوجد فيه، وهكذا فإن طبيعته هي طبيعة الذي وَلَدَه، ولذلك فنحن لا نؤمن أنهما إلهان، لكن إله واحد وفريد يُعبد في ثالث قدوس]².

4 " مع كلئلامزدم عو شهمد قسامد "³. " مخفئ كئلامزدم عو شهمد "⁴.

رغم إجماع كثير من آباء الكنيسة ومنهم ق. كيرلس على الرجوع لهذا الشاهد (تك 1:26) عند تعليمهم عن عقيدة الثالوث إلا أن ق. كيرلس هنا قد استخدم الشاهد الثاني (تك 1:27) أيضًا تمشيًا مع منهجه الذي اقتصى فيه آثار ق. أثناسيوس وهو المنهج الذي يتسم بالبُعد الخلاصي الخرسولوجي أي بما فعله الابن المتجسد. فلأنه هو واحد مع الآب والروح القدس في الجوهر فإن تجديدنا الذي أعاد تشكيلنا على صورة الابن أرجع الإنسان إلى رتبته الأولى ليكون على شبه الله. يقول ق. كيرلس إذا [لأننا تشكّلنا من جديد حسب الصورة الأولى إذ ختمنا بختم الابن، كي نصبح مثله لأنه هو صورة الآب

¹ يو 14:23

² انظر ص 25.

³ تك 1:26.

⁴ تك 1:27.

وختمه وليس هو آخر بجانب الآب وذلك بسبب الجوهر الواحد¹.

5. "لمّا طهذهى زلق لكمد ز"، ك زلى تمع نغمى لمدهلى آلى..".

كان من نتيجة تجسد كلمة الله الابن الوحيد، أنه عرّفنا بالإله الحقيقي، فالابن إذ هو صورة الله الآب، أظهر لنا " نور الآب وأعطانا شركة الروح القدس الحقيقية"² وإذ هو واحد معه في الجوهر وهو الابن الوحيد الحقيقي. فقد علّم البشر عن الآب³. وهنا يستشهد ق. كيرلس بما جاء على لسان المسيح له المجد في صلاته للآب "أنا أظهرت اسمك للناس"⁴. وأيضًا ما قاله لليهود "لستم تعرفوني أنا ولا أبي. لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضًا"⁵. ويوضح ق. كيرلس أنه بمجىء الابن في الجسد أصبحت معرفتنا عن الله أكمل مما كانت في العهد القديم فيقول: [وبعد الكرازة بالإنجيل توقف سريان تعاليم الناموس التي كانت تعلّم القديس أن الله هو واحد فقط، بدون أن نتحدث عن الطبيعة الإلهية الثلاثة أو عن وحدة الجوهر، لأن هذه التعاليم هي التي تحدث عنها العهد الجديد. لأننا إن لم نؤمن أن الابن واحد مع الآب في الجوهر سيكون هناك تخطيط ومناهة]⁶. وعلى هذا الأساس فهم ق. كيرلس قول القديس بولس " لكن ما كان لي ربحًا فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة بل أنى أحسب كل شئ خسارة من أجل فضل معرفة

¹ انظر ص 31.25.

² مثلما نصلي لاقتنوم الابن في القديس الغريغوري.

³ سبق أن أوضح ق. أنثاسيوس هذه الحقيقة، انظر "تجسد الكلمة" إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ترجمة د. جوزيف موريس فلنس، فصل 1:20.

⁴ يو 6:17.

⁵ يو 19:8.

⁶ انظر ص 36.

المسيح يسوع ربي" ¹.

6. "فخرج هو وصطفاه ز" ²، "لهدى هخرجك ن عرطاه" ³.

والوهية الابن المتجسد ووحده في الجوهر مع الآب والروح القدس تتضح أيضاً ليس فقط من خلال أعماله المعجزية التي أتمها بالجسد بل في أنه هو أيضاً الديان والمشرع الذي وضع الناموس والذي وحده له عدم الموت. وإذا فهم ق. كيرلس أن المعارضين ينسبون هذه الصفات للآب وحده دون الابن، فإنه يرد قائلاً: [هل يجب إذا أن نؤمن أن الابن هو أقل من واضع الناموس والديان وأنه غير أبدي؟ وأن الحياة التي فيه قد حصل عليها من خارجه؟ وماذا ستحصد من هذا الفكر غير أن الابن سيكون خاضعاً بغير إرادته للناموس والدينونة وأنه بذلك يُحصى مع الذين هم بطبيعتهم اثنين؟ وفضلاً عن ذلك كيف لا يمكن اعتبار البشارة الإلهية . أى الإنجيل . هى كذب وبهتان طالما أنها تعتمد على شهادة الابن كي تثبت حقيقتها؟ لأن الابن قال في الإنجيل "أنا هو الحياة" بينما هو . حسب اعتقادهم . ليس عديم الموت لأن الآب فقط هو الذي لا يموت ⁴. ويشدد على حقيقة الابن فيقول إنه هو " الديان وواضع الناموس" ويستشهد بقول المسيح نفسه لليهود "قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تترن أما أنا فأقول لكم إنه من ينظر إلى امرأة ليستهيها فقد زنى بها في قلبه" ⁵. وأيضاً يستحضر شهادة ق. يوحنا الإنجيلي "لأن الآب

¹ فيلبي 3: 87 ص 32.

² يع 4: 12.

³ 1 تي 6: 16.

⁴ انظر ص 373.

⁵ مت 27: 5.

لا يدين أحدًا بل قد أعطى كل الدينونة للابن¹. ومن الواضح هنا اعتماد ق. كيرلس على إيمان الكنيسة الذي قد حدّده الآباء في مجمع نيقية . القسطنطينية عندما ذكروا في قانون الإيمان عن الابن المتجسد الذي صلب وقبر وقام وصعد، أنه " أيضًا سيأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات " معبرين بذلك عن إلهيته ومساواته للآب في الجوهر . وأخيرًا يؤكد على هذه الحقيقة بقوله: [هذا أمر غير مشكوك فيه بالمرّة أن مَنْ له دائماً مجد المشرّع (واضع الناموس) يجب أن يكون وبطريقة طبيعية هو الديان]². وبسبب الوحدة الجوهرية للآب والابن فإن الابن له خاصية عدم الموت مثله مثل الآب [إن كان الله الآب هو مَنْ له خاصية عدم الموت، فإن الابن أيضًا له نفس الخاصية في جوهره وهو بالتأكيد عديم الموت بمعنى أن طبيعته غير مائتة ومشرقة ببهاء خصائص طبيعة الذي ولده]³ ولهما أيضًا فعل واحد ومماثل يتضح في أنهما يهبان الحياة لمن يشاء " لأنه كما أن الآب يقيم من الأموات ويحيي كذلك الابن أيضًا يحيي مَنْ يشاء "⁴.

7. "أَلَا تَعْلَمُ يَا مَلَكُنِي غَاثُ دَلِي زَكَرِيَّا آمِي شَيْءُ تَمَلُّحِي كَأَوْطَاكِ لَا إِلَهِي مَائِزُ لَدِي"⁵.

شاهد كتابي آخر يوضح عملاً خلاصياً آخر يتممه الابن الوحيد فينا، نحن الذين نؤمن به، وهو أنه يصيرنا أبناءً لله، ويخلص ق. كيرلس إلى أن هذا لم يكن ليتم لو لم يكن الابن المتجسد هو ابن الله بالطبيعة. ويحذر ق.

¹ يو 5: 22.

² انظر ص 46.

³ انظر ص 46.

⁴ يو 21: 5 ص 49.

⁵ يو 1: 12.

كيرلس من قبول عكس ذلك بقوله: [انتبه إذا يا صديقي إلى النتيجة التي يمكن أن يصل إليها الحديث عن الابن الوحيد لو أنه أصبح مساوياً لنا نحن الذين دُعينا للبنوة، لأنه لا يمكن أن يصير الإنسان المخلوق ابناً إلاّ عن طريق ابن الله وبواسطة نعمة الروح القدس، وهذا ما يؤكده الرسول بولس بقوله " وبما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارحاً يا أبا الآب" ¹. [فإن كان الأمر هكذا ففيمَن سيصير الابن ابناً هو أيضاً؟ لأنني لا أعتقد أنهم سيقولون إنه صار ابناً بذاته في ذاته على الرغم من أنه حُسب بين الذين دعوا أبناء بالتبني طالما أنه . حسب فكرهم قد استبعد عن أن يكون ابناً حقيقياً بالطبيعة] ². وسكنى الابن بالروح القدس تجعلنا أبناء بالتبني وتحضرنا إلى علاقة أبوة الله لنا لأن [كل كلامنا هنا هو عن الإيمان بالطبيعة الإلهية الواحدة والتي هي في ثلاثة أقانيم متمايزة ولها نفس الجوهر فهي تمثل إلهاً واحداً أسمى من الكل والذي نتشكل على هيئته كما يقول الكتاب، ولكننا نأخذ ختم التبني عن طريق الابن بالروح القدس، فالبنوة هي صورة الابن والأبوة هي صورة الآب، إذاً فنحن أبناء بسبب الابن كما أننا على صورة الله وشبهه إذ قد خلقنا هكذا منذ البداية على صورة كمال الطبيعة (الإلهية) أعني الطبيعة الفائقة] ³.

8 . " بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا أنه قد أعطانا من روحه" ⁴. جانب آخر من العمل الخلاصي الذي ساعد ق. كيرلس في فهم وشرح عقيدة

¹ غلا4:6.

² ص6261.

³ انظر ص6766.

⁴ 1يو4:13.

التالوث هو ثباتنا في الله وتقديسنا عن طريق روحه القدوس . ومرة أخرى يشدد ق. كيرلس على المساواة في الجوهر للأقنيم الثلاثة والتي هي أساس العمل الواحد والفعل الواحد الخلاصي الذي تم فينا . فالروح القدس رب محيي يثبت ويقّس البشر، وهو يتم هذا لأنه هو روح الابن الذي هو إله بالحقيقة مولود من جوهر الله الآب، لذا وضع ق. كيرلس هذه الآية من رسالة ق. يوحنا أمامه ورأى فيها بكل وضوح الوحدة الجوهرية للآب والابن والروح القدس من خلال عملهم وفعلهم الواحد، لهذا تعجب ممن لم يستطيعوا أن يدركوا كيف [أن الابن هو إله بالحقيقة وأنه قد جاء من جوهر الآب، حيث إن روحه الساكن فينا هو الله وليس شيئاً آخر؟¹ . وأضاف قائلاً [لو لم يكن روح الآب هو الله . الذي به يُعطى حياة وقداسة للبشر . هو روح الابن أيضاً، فمن ذا الذي يصل تفكيره إلى هذا الحد الدني حتى يفكر ويقول إن الابن ليس واحداً في الجوهر مع الله الآب بل هو ضمن المخلوقات ويقول أيضاً إن الابن لا يُعطى ولا حتى يهب البشر أن يكونوا شركاء الطبيعة الإلهية أو تلك المواهب المميزة الخاصة بها، الأمر الذي يجعله لا يكون مختلفاً بالمرّة عن المخلوقات وأيضاً يجعل طبيعة المخلوقات مساوية في المجد مع تلك الطبيعة (الإلهية) التي تضبط كل الأشياء]² .

9. " فك صرعي بك شك ح بهك لهما ب تزلزل هو لم نغف مثكب لم عرخ آاو
ي لأمونظكديحي ز عرخي تفخي ذ آه طك نغفم "³ .

يستخدم ق. كيرلس طريقة الحوار بالأسئلة والإجابات السابق الإشارة إليها

¹ انظر ص 69.

² انظر ص 69.

³ بع 17:1.

في المقدمة ليصل إلى هدفه الذي هو إثبات إلهية الابن، ومن خلال الوحدة الجوهرية للأقانيم يصل إلى أن الثالوث القدوس هو رب وإله واحد. وهنا يتوقف أمام هذه الآلية ويتساءل حتى يعطى إجابة تخدم هدفه وتثبت التعليم القويم فيقول: من أين تتوزع علينا الهبات الإلهية؟ لقد ظن من أنكروا إلهية الابن أن الآية تتكلم صراحةً على أن هذه الهبات تأتي لنا فقط من عند الله الآب، وهم في هذا أنكروا على الابن مساواته في الجوهر للآب والروح القدس وبالتالي أنكروا عليه وحدة العمل والفعل بينهما. غير أن الواقع العملي في حياة من يؤمنون بالمسيح يشهد بعكس ذلك لأن [المسيح أعطى للرسل السلطان كي يخرجوا الشياطين ويشفوا الأمراض وكل ضعف بين الناس والأمر الأعظم من كل هذا أنه أعطاهم السلطان حتى يقدرُوا أن يهزموا الموت نفسه عندما حنَّهم بكلام يليق به كإله "اشفوا المرضى، طهروا برصًا، أقيموا موتى اخرجوا شياطين" كما أن يوحنا الناطق بالإلهيات يعترف بكل وضوح قائلاً "من ملئه نحن جميعًا أخذنا" [ويرى ق. كيرلس أن العطية الصالحة والهبة الكاملة والتي تثبت إلهية الابن هي أن نكون شركاء الروح القدس فيقول إن الابن [يرسل من ملئه روحه القدوس الذي هو واحد معه في الجوهر بدون أن ينفصل عنه، وعن طريق الروح القدس يصير لنا كل عطية صالحة]¹.

لقد كانت قيامة المسيح هي أعظم دليل على إلهيته، ثم كانت عطيته الإلهية لتلاميذه أى عطية الروح القدس بعد القيامة، فهو يعطى كل العطايا بسلطة إلهية وليس كخادم يستمد سلطته من آخر [فطالما أنه قد قام مبطلًا الفساد ومحطمًا قيود الموت فإنه جاء بنا مرة أخرى إلى القداسة معطيًا للرسل

¹ انظر ص 73.

10. "ومئذ قدم غيظك لزيج لشك حطك على هزك في حزنك على ضيقك في صبرك غيرك كالملك لشك بود مزع و قويع؟ ع ملك لزيج قأمئ؟ يبط لمضرك ا ع ملك لزيجة شك حطك على².

إن الإيمان بالمسيح يدخلنا إلى معرفة الله الآب وشركة الروح القدس وهكذا نعتزف بأقنانيم الثالوث المساو في الجوهر وهذا الإيمان يبعنا عن ضلال تعدد الآلهة ويصالحنا مع الله.

ويعلق ق. كيرلس على ما كتبه بولس الرسول المشار إليها هنا قائلاً: [عندما يأتي شخص ما للمسيح فإنه يتصالح مع الله. ومن خلال المسيح يتصالح العالم كله مع الله]³ وهو يرى أن هذا ما يثبت وحدة جوهر الآب والابن فهذا يستكمل قوله بسؤال استنكاري [وبالتالي كيف لا يكون من المضحك أن يعتقد هؤلاء أن الكلمة الذي أتى من الآب وهو باق فيه، هو بعيد عن جوهر الآب]⁴. إذًا من يعرف الابن يعرف الآب. الإله الحقيقي أيضًا كما يشهد معلمنا يوحنا " هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله

¹ انظر ص 74.73.

20.19:5 2

³ انظر ص 76.

⁴ انظر ص 76.

الحقيقي وحده. يسوع المسيح الذي أرسلته ¹.

11. "لَا مَلِكُكَ عَلَيَّ" ²، "كُلُّ مَزَجٍ مَمْنُوعٌ مِنَ الْبَلَدِ الَّذِي هُوَ" ³، "يُخْفَى تَزَاطُفُ شَمَتِي هَلُمَّ أَعْنَفُهُ" ⁴، "غَاثَةُ لَحْيِي هَلُمَّ أَصْرِي" ⁵، "يُجِبُّ أُنْبِيَاءُكَ مَ تَحْقُوقُ وَيُؤَلِّمُ هَلَايَ خَفِئْتُ أَخْجَلُمُ يَخِي" ⁶.

قد يرى من لا يؤمنون بالوهمية الابن وبأنه مساوٍ للآب والروح القدس في الجوهر، أن الابن كان غير محق في أن يدعو مَنْ يؤمنون به بأنهم خرافه هو، وكان الأجدر به أن يدعوهم خراف الآب، على أساس أن الابن . حسب اعتقادهم . ليس إلهاً حقيقياً مثل الآب. والخطورة الواضحة في هذا التفكير تكمن في إنكار عقيدة الثالوث كله لأنها تنكر أحد أقانيمه كما سبق القول، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنها تهدر قيمة العمل الخلاصي والمحبة الإلهية نحو البشر. فلقد ارتضت محبته أن تفتقدنا من ضلالنا وأن يشملنا كراع صالح برعايته بل أنه صيرنا خرافه وأعطانا حياة أبدية ووعداً بالآ تَهْلِكُ إلى الأبد والآن يخطفها أحد من يده ⁵. غير أن القديس كيرلس كان يؤمن . كما أخبرنا ق. يوحنا . بأن [الابن قد جاء إلى خاصته وأنه سمى كل سكان الأرض بل كل الخليقة خاصته وأنه يعمل كل ما يعمل الآب لا كأنه أقل منه، لكن كمن له سلطان وربوبية حقيقية وليست غريبة عنه] ⁶.

¹ يو 17:3.

² مز 91:119.

³ مز 95:76.

⁴ يو 10:2827.

⁵ انظر يو 10:2827.

⁶ انظر ص 77.

12. "وَمِنْ أَجْلِ شَيْخٍ شَيْخٍ قَتَلْتُمْ مَسِيحًا بِهَيْكَلِكُمْ لَمْ تَدْرِكُوا شَيْخَ آمِي نَزَكَ
مَعَكُمْ بَكْرًا وَحَشَشْتُمْ¹، "لَيْدِي نَعْسَدُ نَعِي يَنْزِي هَنْزِي قِي لِيَنْزِي هِيْجَ لَطَلَقِي لَجْكَ وَ
لَعْمَدُ"².

كانت وصية الرب القائم منتصرًا من بين الأموات، لتلاميذه أن يذهبوا
ويتلمذوا جميع الأمم، وهكذا أعطاهم المسيح له المجد شرف وامتياز نشر
أسرار ملكوته. وهذا عكس ما قد يفهمه بعض المعارضين من قول المسيح
لتلاميذه "اطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده" وكأنه هو لا
يملك حصاده أو أن الحصاد ليس له على اعتبار أنه هو ليس مثل الآب إله
حقيقي حسب اعتقادهم، غير أن شهادة يوحنا المعمدان عنه كما سجلها
إنجيل لوقا توضح أنه هو . مثله مثل الآب . رب الحصاد وأن المخزن هو
مخزنه أو كما يقول ق. كيرلس أنه [في نفس الوقت الذي يُرجع فيه للآب
تعيين فعلة لحصاده، فهو يكشف عن مَنْ يكون رب الحصاد وذلك حينما
أعطى لتلاميذه امتياز نشر أسرار ملكوته، كما أن البشير لوقا يؤكد أن
الحصاد هو له]³.

13. "لَيْدِي لَطَلَقِي نَفْسِي عَمْدِي لَمْ نَكْ لَكْ لَأَجْمَدُ أَجْلِي مَقِي . لَأَيِّ لَمْ نَعْدُ
فَكْ سِدْ"⁴، "لَمْ نَعْدُ وَنَمَلِي لَهْ بَهْلَمَلِي لَعْمَدِي نَفْسِي"⁵.

فهم بعض المعارضين أن معنى هذه الآيات أن يكون لكلمة الله طبيعة
مخلوقة لكونه ابن مثلنا نحن الذين صرنا أبناءً بالتبني وبالتالي ستكون طبيعة

¹ مت 38:9.

² لو 3:17.

³ ص 78.

⁴ رو 12:11.

⁵ مز 6:82.

الابن مختلفة عن طبيعة من ولده. ولقد دافع ق. كيرلس عن إلهية الابن عندما شرح المعنى السليم لهذه الآيات وأوضح [أنه بينما كثيرون قد دعوا آلهة وأبناء إلا أن تعبير الابن "الذاتي" أو "الخاص" ينسب حرفيًا وبالفعل لواحد فقط]¹. ويستطرد فيقول إن هذا بسبب أن [هؤلاء بالتأكيد صاروا أبناء بسبب نوالهم عطية المحبة السماوية بدعوتهم للتبني بينما الابن ليس كذلك لكنه هو ابن حقيقي وذاتي لله الآب وله نفس الطبيعة التي هي أرفع وأسمى من طبيعة الكل]². وردًا على أفكار المعارضين المنحرفة يقول [لابد أن نفكر بطريقة سليمة ونؤمن أن الابن هو ابن ذاتي (خاص) لله الآب وهو لا يحصى ضمن من نالوا التبني بل هو إله من إله. كما أنه لا يمكن التفريق أو الفصل بين من هم من جنس واحد ونوع واحد في طبيعة طريقة وجودهم ومرتبطين معًا في وحدة كاملة حسب الجوهر. إذا فالابن ليس إلهًا من طبيعة أخرى غير طبيعة ذلك الذي ولده فهو إله حقيقي طالما دعى ابنًا ذاتيًا (خاصًا) لله الحقيقي حسب الطبيعة وهو يختلف بالتأكيد عن كل هؤلاء الذين صاروا أبناء بالتبني كما أن له نفس المجد الحقيقي الذي لله]³.

13. "أ ز لك نيك هيك لزيج آلد آ زيك لب غميك نيك هلد زيك لزيج هيكي"⁴. من بين الآيات الرائعة التي استخدمها ق. كيرلس في دفاعه عن إلهية الابن تلك الآية التي جاءت في رسالة معلمنا بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس. ورغم ما يبدو في أن معنى هذه الآية لا يحمل أى بُعد

¹ ص 82.

² ص 83.

³ ص 84-83.

⁴ 1كو 3: 11.

يساعد على فهم وشرح عقيدة الثالوث فإن ق. كيرلس ربما كان هو الوحيد الذي اعتقد بأن الرسول بولس [يقصد بهذه الآية أن يوضح وحدة الجوهر وأن الابن قد وُلد بالحقيقة من نفس هذا الجوهر]¹ بينما رأى المعارضون [أن هذا الكلام يجرد الابن من أن يكون واحدًا مع الله الآب]². فقد رأى ق. كيرلس [أن الرجل هو رأس المرأة لأن المرأة خلقت من البدء من جنبه وعلى صورته كما خلق هو على صورة الله كما جاء في الكتب. كما أننا تعلمنا أن رأس الرجل هو المسيح الذي هو الأصل الثاني للجنس البشري ويكر البشرية التي تقدست بالروح فنالت عدم الموت ولهذا السبب عينه يدعى المسيح آدم الثاني، ونحن نقبل بل ونؤمن أن رأس المسيح هو الآب لأنه مساوٍ له في الجوهر ومتحد معه حسب الطبيعة، ولهذا يُدرك على أنه هو الله مع أنه ظهر في الجسد وصار كواحد منا]³. ولأن عقيدة الثالوث مرتبطة بسر الفداء الذي تم بمسرة الآب بتجسد الابن الوحيد من الروح القدس ومن مريم العذراء، لهذا تابع ق. كيرلس شرحه للآية السابقة معطيًا لها بعدًا خرسولوجيًا وخلصيًا بقوله: [والمسيح ليس إلهًا فقط وليس إنسانًا فقط بل أنه . حسب التدبير . قد وُحِدَ في شخصه طبيعتين مختلفتين هما اللاهوتية والناسوتية في اتحاد لا يدركه العقل ولا يدنى منه ولا يُعبّر عنه باللسان. لأن المسيح هو إله وإنسان معًا، فالآب السماوى هو مصدر (نبع) وأصل أقدومه وهو كائن معه وأزلي معه بدون أن يكون الآب سابقًا على الابن زمنيًا، طالما أن الرأس (الآب) كائن مع من دعى رأسًا (الابن) ومن جهة أخرى فالمسيح مرتبط معنا

¹ ص84.

² ص84.

³ ص86.

من حيث طبيعته البشرية¹. ويختم ق. كيرلس شرحه لهذه الآية بالتأكيد مرة أخرى على أن الابن له نفس جوهر من ولده فيؤكد : [عندما نقول إن الله هو رأس المسيح وهو كذلك بدون شك، كيف لا يكون إلهاً ذلك الذي أصله هو الألوهة الحقيقية وله نفس جوهر من ولده؟ لأنه لابد أن ندرك أن الرأس هي من نفس طبيعة باقي الجسد]². ويلفت نظر المعارضين إلى ما قاله المسيح له المجد بأن الشجرة تعرف من ثمارها وأن هذا يثبت إلهية الابن أيضاً فيقول: [لكن إن كانوا يعتقدون أن الكلمة الذي وُلد من الله الأب لابد أن يخرج خارج نطاق الألوهة ويحسب ضمن المخلوقات فليسمعوا جيداً هذا القول "اجعلوا الشجرة جيدة وثمرها جيداً أو اجعلوا الشجرة ردية وثمرها ردياً لأنه من الثمر تعرف الشجرة"]³.

14. **ك ق م سيقف ككدي يقمخ غى لمة ا مشنة غى ك لزي ج ك م**
هبطه لمدخج ب لعنة غى ك لقدم لأممخج بك لزي ج كدي ب ⁴.

فسر ق. كيرلس معظم أسفار الكتاب المقدس وكان له منهج مميز ذو توجهات ثلاثة: خرستولوجى وروحى وكنسى⁵. فمن بين الأناجيل الأربعة نجد تفسيره لإنجيل يوحنا هو أكثر التفسير التي تعكس هذه التوجهات وخصوصاً التوجه الخرستولوجى ومن بين رسائل بولس الرسول نجد أن رسالة كورنثوس

¹ انظر ص 87.

² انظر ص 87.

³ انظر ص 78.

⁴ 2كو 2: 15.

⁵ انظر: أمثلة من تفسير الآباء لأيات الكتاب المقدس. د. جوزيف موريس فلتنس. دراسات آباءية ولاهوتية، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآباءية، السنة الثامنة العدد الخامس عشر. يناير 2005 ص 534.

هى من أكثر الرسائل المستخدمة في كتاباته. وهنا نجده يستحضر هذه الآية ليدلّل بها على أن رائحة المسيح الذكية فينا هى شهادة لإلهيته، مشدداً بذلك . كعادته . على البُعد الخلاصي في فهم وشرح عقيدة التالوث، لأن من نتائج تدبير الخلاص أن الابن عرّفنا بالله الآب، لهذا نجد ق. كيرلس هنا يوجه للمعترضين سؤالاً استنكارياً فيقول: [كيف لا يكون إلهاً وبالحرى إلهاً حقيقياً من بواسطته، وبواسطته وحده يستطيع المرء أن يعرف أن الآب هو إله حق حسب الطبيعة؟ لأن بولس الرسول يكتب لهؤلاء الذين آمنوا " لكن شكر الله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح كل حين ويُظهر بنا رائحة معرفته في كل مكان لأننا رائحة المسيح الذكية لله " ¹. فعندما تظهر رائحة الله الآب الذكية من خلال المسيح وتصبح معروفة بواسطته، كيف تشك في أن هذا يجب أن يحدث؟ وكيف يقدر المسيح أن يكون هو رائحة المعرفة الحقيقية لله الآب ولا يصدّق أنه صَدَرَ من الألوهة الحقيقية؟ ². ويخلص إلى الحقيقة الإلهية بأن " الابن الوحيد وُلِدَ . بطريقة لا يُعبّر عنها . من جوهر الله الآب. ولهذا فإن كنيسة الأمم تتاديه كعريس قائلة " اسمك كالطيب المسكوب، لهذا أحببتك العذاري " كما أننا أيضاً عن طريقه وبواسطته قد قبلنا رائحة معرفة الآب " ³.

15. "يَهْدُ ذَا تَجْعَلُكُمْ زَلَّاجِي لَأَمَقَ فَكْ أَعْلَمُ شَمْعُكُمْ يَهْدُ ذَا لِمَعْنَى .
عَنْ زَوْجِي مَحْمَدٍ عَقِ ائْزَلَقِ " ⁴.

¹ 2كو 2: 15.

² انظر ص 89.

³ انظر ص 89.

⁴ إش 13: 26 س.

وأخيراً يختم ق. كيرلس هذا الحوار الثالث حول الثالوث والذي وضع له عنواناً " أن الابن هو إله حقيقي كما أن الآب إله حقيقي"، وذلك بالحديث عن فعل سماوى إلهى وعطية وهبت للبشر، حسب العمل التدبيرى للثالوث. فكل شئ أعطى للبشرية من الآب بالابن في الروح القدس.

إذاً هو يتحدث هنا عن عطية وهبة السلام الذي يأتي إلينا بتفضل من الله كما تشهد الآية عن لسان إشعياء النبي فيقول: [السلام هو ثمر فعل سماوى وهو عطية بالفعل، لا يهبه أى كائن مخلوق بل فقط الله حسب الطبيعة ... ولهذا فإن إشعياء قد قال بأنه يعرف الله وحده ولا يعرف آخر سواه]. إذاً بسبب الوحدة الجوهرية لأقانيم الثالوث فإن الابن إذ هو إله حقيقي كما أن الآب إله حقيقي فهو يعطينا سلامه الإلهي، لهذا يشدد ق. كيرلس على هذه الحقيقة بقوله [إن الكلمة المولود من الآب هو ضابط الكل وهو المانح لما يعطيه الله الآب لنا، لأنه قال لتلاميذه " سلامي أنا أعطيكم، سلامي أترك لكم " وقال إن هذا السلام هو سلامه لأنه بالفعل هو سلام يُعطى من الله وحده وليس بأى طريقة أخرى]¹.

وهكذا يصل ق. كيرلس إلى هدفه والذي عبّر بنفسه عنه بقوله [غير أن هدفنا ليس هو أن نفحص من أين يأتي هذا التجديف بل بالحرى أن نعتزف أنه يجب أن ندرك كيف أن الابن قد وُلِدَ من جوهر الله الآب وأنه إله حق من إله حق وأنه لم يولد من طبيعة غريبة ومختلفة، وأن له كل ما للآب حسب الجوهر عدا كونه أباً وإذ نُحصى الروح القدس مع الآب والابن في الألوهة الواحدة، فإننا هكذا نسجد لثالوث واحد مساو في الجوهر الإلهي]².

¹ ص 90.

² ص 109.

IV - الربوبية الواحدة للآب والابن:

لقد ظن المعارضون حسب فكرهم المنحرف أن مَنْ يؤمن بالابن، لن يكون إيمانه صحيحًا، لأن الإيمان بالابن ليس كإيمان بالآب، على اعتبار أن الله الحقيقي . حسب اعتقادهم . هو الآب فقط. ويستكر ق. كيرلس هذا الفكر الخاطئ ويتساءل قائلاً: [هل يستطيع الذين هم خاصة الآب أن يكونوا بنفس الكيفية خاصة المسيح إن لم يكن جوهر الواحد هو نفسه جوهر الآخر؟]¹. ويتابع تعليمه معبرًا عن إيمان الكنيسة بقوله: [لأن الآب فيه كل ملء الربوبية والمجد كإله، كما أن الابن هو أيضًا رب وإله. فبدون الربوبية لن يكون الآب إلهًا ولا يكون الابن ربًا حقيقيًا إن كان منفصلاً عن الألوهة الحقيقية حسب الطبيعة]². ويستدل على ما يؤمن به مما جاء في رسائل بولس الرسول الذي [يربط بين الاسمين في وحدة واحدة]³. ولهذا فإنه يورد مجموعة من الآيات يرد في أحدها اسم المسيح أو الابن والأخرى اسم الله أو الآب لأنه يؤمن بأن [كل ما نستطيع أن نقوله عن الله كإله نقوله عن الابن أيضًا]⁴، وهذه الآيات كالاتي:

1. } + "الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات" (غلا 24:5)⁵.
+ "لك أنا فخلصني لأنني حفظت وصاياك" (مز 56:119)⁶.

¹ انظر ص78.

² انظر ص78.

³ انظر ص78.

⁴ انظر ص78.

⁵ انظر ص79.

⁶ انظر ص79.

2. + "بولس الرسول عبد ليسوع المسيح المدعو رسولاً المفرز للإنجيل
الله" (رو 1:1)¹.
+ "لكننا لم نستعمل هذا السلطان بل نتحمل كل شيء لئلا نجعل
عائقاً للإنجيل المسيح" (1كو 9:12)².
3. + "بل في كل شيء نظهر أنفسنا كخدام الله" (2كو 6:4)³.
+ "هم خدام المسيح أقول كمختل العقل فأنا أفضل"
(2كو 11:23)⁴.
4. + "كونوا بلا عثرة لليهود واليونانيين ولكنيسة الله" (1كو 10:32)⁵.
+ "موسى كان أميناً في كل بيته كخدام شهادة للعنيد أن يتكلم به
وأما المسيح فكابن على بيته وبيته نحن" (عب 3:65)⁶.
- وأخيراً يضع ق. كيرلس اعتراف إيمانه على لسان إرميا حينما يقول: [إذا لا يوجد شيء على الإطلاق يمكن أن يعوقنا على أن نؤمن إيماناً حقيقياً بأنه طالما أن الابن قد وُلِدَ من جوهر الله الآب ذاته فلا يمكن أن يُدرك على أنه مختلف عن الآب]⁷.

¹ انظر ص 79.

² انظر ص 79.

³ انظر ص 80.

⁴ انظر ص 80.

⁵ انظر ص 80.

⁶ انظر ص 81.

⁷ انظر ص 81.

الحوار الثالث

" إن الابن هو إله حقيقي كما أن الآب إله حقيقي "

هل الابن هو إله حقيقي كما أن الآب إله حقيقي؟
كيرلس: إنى أعرف جيدًا يا إرميا أنك أنت أيضًا تقول إنه يجب أن نظهر اهتمامًا كبيرًا بالفضيلة وأن نتعمق على كل حال في كلمات الإيمان¹، لأن مثل هذه الكلمات هي خاصة بالله. ولهذا فإن الكتاب يقول " ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك وقصّها على أولادك وتكلّم بها حين تجلس في بيتك وحين تمشى في الطريق وحين تنام وحين تقوم"².

لأنه إن كان كلام الله في أفواهنا دائمًا فإن هذا سيكون له . كما أعتقد . نفع كثير لحياتنا الروحية، كما أتصور أن كلام الله هذا لا يناسب الجميع بل فقط أولئك الذين لهم الاهتمام أن يعيشوا حسب مشيئة الله³.

إرميا: إنى أتفق معك فيما تقول، لأنه لا يوجد شيء أفضل من هذا. ولأننا نتكلّم في الوقت الحاضر عن ولادته الإلهية التي لا توصف وأن الابن لم

¹ دائمًا ما يركّز آباء الكنيسة وخصوصًا ق. كيرلس على أن حياة الفضيلة هي ثمرة مباشرة لحياة الإيمان المستقيم. انظر على سبيل المثال: شرح قانون الإيمان (رسالة رقم 55) للقدّيس كيرلس، ترجمة د. موريس تاووضروس .د. نصحي عبد الشهيد، مركز دراسات الآباء. القاهرة 1996م. ص2726.

² تث7:6.

³ من أشهر كتابات ق. كيرلس الروحية هو كتاب السجود والعبادة بالروح والحق والذي يشرح فيه أهمية أن يفهم ما جاء في كلمة الله في العهد القديم كمثال للعبادة بالروح والحق ويمثل نفعا كبيرا لحياتنا الروحية وسوف نشير إلى هذا الكتاب في الهوامش، ولقد ترجم الباحث جورج عوض سبعة مقالات منه عن اليونانية ونشرها المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة، في أربعة أجزاء 2001، 2002، 2003، 2004م.

يأتِ إلّا من الآب، إذ وُلِدَ من جوهر الله الآب¹. فما هو الأمر الذي يجعل المعارضين يؤمنون بأن الله هو واحد، الذي هو الآب وأنه إله حق، ولا يحسبون معه أحدًا آخر بالمرّة، بل ويبعدون الألوهة الحقّة عن طبيعة الابن الوحيد والحقيقي، ذاتها؟

كيرلس: أنا نفسي أتساءل عن هذا الأمر الذي يبعدهم بعيدًا، والذي يجعل "من جفنة سدوم جفنتهم، ومن كروم عمورة. عنبهم عنب سم ولهم عناقيد مرارة. خمرهم حمة الثعابين وسم الأصائل القاتل"². لأنهم وهم سكارى بسبب ضلالتهم والتي لا أعرف أين وجدوها، فإنهم يتفوهون من أعماق قلوبهم الماكرة بأمور شريرة. وهم قد تركوا ألسنتهم بدون أى ضابط لينطقوا بالتجديف على الابن³، إذ أنهم في هذا يعانون من عدم الفهم الذي يصاحب عدم التقوى الذي اتصف به الفريسيين. ولهذا فإنهم يستحقون أن يسمعوا ما قيل للفريسيين " يا أولاد الأفاعى كيف تقدرون أن تتكلّموا بالصالحات وأنتم

¹ يتبع ق. كيرلس هنا نفس تعبير ق. أثاناسيوس ونص مجمع نيقية 325م. انظر المقالة الأولى ضد الآريوسيين. المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية، فصل 58. وهنا يكرر ق. كيرلس كثيرًا، هذا التعبير الهام. انظر ص9، 14، 15، 48، 68، 80. وأيضًا رسائل ق. كيرلس. المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية. الرسالة 17 ص 15.

² تث32:32.

³ يكرر ق. كيرلس هنا ما سبق أن كتبه ق. أثاناسيوس في وصف الآريوسيين الذين أنكروا ألوهية الابن " ولكونهم مروجين للبدعة الآريوسية، فإنهم لا يضبطون ألسنتهم عن الكفر ". الرسائل عن الروح القدس للأسقف سرابيون. ترجمة د. موريس تاوضروس ود. نصحي عبد الشهيد. مركز دراسات الآباء 1994، الرسالة الثالثة: 5. ولقد أشار ق. كيرلس من قبل إلى الآريوسيين وأوضح تجديفهم بقوله "ولكنهم يتجنون على كلمة الحق حينما يقللون . بدون تقوى . من مجد الابن وينسبونّه إلى طبيعة أخرى مختلفة عن طبيعة الآب؛ وهكذا يظهر الابن على أنه خارج جوهر الآب" حوار حول الثالث: المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية سنة 1999 المقالة 1، 2 ص 56.

أشرار¹. ومع أنه . بالتأكيد . كان يجب مع تمسكهم بطريقة البحث الدقيق، ألا يعتقدوا أن ما يبدو لهم أنه صحيح، ليس بالضرورة أن يكون هو السليم والذي لا يقبل النقض. ويجب عليهم أن يبعدوا بأسرع ما يمكن عن تلك الأمور السطحية. لأنهم لو حاولوا البحث بتدقيق في الأمور التي تساعد على فائدتهم وعلى الحكم السليم على الأمور، فإنهم سيتمسكون بتعاليم الحق الإلهي.

لأنني أعتقد أنه من خيالات العقل واضطرابه أن يدعي المرء أن الابن المولود من الله مثل الكلمة من العقل ومثل الشعاع من النور²، ليس هو الله

¹ مت 12:34.

² لقد أشار ق. كيرلس إلى هذا المثل من قبل بقوله " لنأخذ مثلاً وليكن طبيعة الشمس والشعاع الذي يخرج منها. ولا يمكن أن نطبق آلام الولادة والتمزق وخلافه على خروج الشعاع من الشمس، وهو كائن فيها رغم إشعاعه. وهكذا فالشمس تمتلك في طبيعتها الخاصة، شعاع النور الذي لا ينفصل عنها، لكنه يبدو بعد خروجه منها أن له فرداة خاصة به وأحياناً يفكر البعض في الشمس نفسها ولكنهم لا يستطيعون أن يتخيلوا جوهرها. ففي هذا الجوهر يوجد الشعاع ومن الجوهر يخرج الشعاع دون أن ينفصل الشعاع عن الجوهر، إلا أنه متميز عنه، إذ أن الشعاع يخرج من الشمس إلى خارجها، ولهذا فمن العبث والمضحك أن نتصور أن الشمس أقدم من الشعاع، وكأن الشعاع الخارج منها بجيء متأخراً. ولا أعتقد أن إنساناً حكيمًا وسليم العقل يفكر هكذا. فهذا التصور معناه أن الشمس غير موجودة بسبب أنها لا تمتلك النور موجوداً فيها. وهو الذي يجعلنا ندرك أنها موجودة. هكذا ترى أن الأمثلة المادية الملموسة لها قيمتها في صياغتنا للتعبيرات السليمة، فهي تعطينا إمكانية أن نغير عن المعاني الفائقة، دون أن نُفسد هذه التعبيرات معنى الميلاد الإلهي. حوار حول الثالوث، المرجع السابق ص 104. وكثيراً ما استخدم القديس أثناسيوس تشبيه النور والشعاع الخارج منه لوصف العلاقة الجوهرية للابن بالآب. انظر: الرسائل إلى سربليون عن الروح القدس. مركز دراسات الآباء 1994. الرسالة الأولى: 16، 19، 20، 30. الرسالة الثانية: 2. المقالة الثانية ضد الأريوسيين: 35. وهذا الوصف يعني أن الابن هو نور مشع من الآب. وهكذا نفهم نص قانون الإيمان "نور من نور" بعكس فهم "إشعاع" بمعنى نور مقتبس من نور آخر مثلاً يأخذ السراج نوره من سراج آخر فيكون تعبيراً عن الإنقسام والتجزئة في عالم المخلوقات، والتي لا وجود لها في =طبيعة الله الثالوث. وفي موضع آخر

الحقيقى حسب الطبيعة. كما أعتقد أنه من طياشة العقل أن ينساق المرء وراء أفكار لا هدف لها، وأن يتفاخر بتزييف معانى مصطنعة. أليس من الأفضل أن نتعلم أنه حيث توجد الولادة حسب الطبيعة تكون هناك بالتأكيد علاقة بين الوالد والمولود منه¹. وأن هذه العلاقة ليست هى علاقة نسبية أو علاقة غير حقيقية بل هى علاقة طبيعية²؟ لأن المولود بالحقيقة يأتى من ذات جوهر الذي ولده. فكيف يكون إذًا ذلك الذي وُلد من الله، ينقصه شئ أو يكف أن يكون . حسب رأيهم . هو الله بالحقيقة؟

إرميا: نعم، ويمكننى أن أقول: إنه هو الله وأنه أتى من الله لكن بطريقة مختلفة.

كيرلس: إذًا، ما هو بالضبط هذا الشئ المختلف. لأنى لا أستطيع فهمه بوضوح وربما استطعت أنت أن تقوله لى، إن كنت تعرف شيئًا، لأنه من الطبيعى أن تكون قد سألت عن هذا الأمر؟

إرميا: بالفعل قد سألت. هم يقولون: إن الآب هو إله حقيقى غير أن

يشدد ق. أنثاسيوس عن أن طبيعة الابن هى نفسها طبيعة الآب مستخدمًا نفس هذا الوصف فيقول " إن الشعاع هو النور وليس ثانيًا بعد الشمس، ولا هو نور آخر، ولا هو ناتج من المشاركة مع النور، بل هو مولود كلي وذاتى من النور ومثل هذا المولود هو بالضرورة نور واحد ولا يستطيع أحد أن يقول إنه يوجد نوران، فرغم أن الشمس والشعاع هما اثنان إلا أن نور الشمس الذي ينبعث من شعاعه كل الأشياء هو واحد ". انظر المقالة الثالثة ضد الآريوسيين، مركز دراسات الآباء. القاهرة سنة 1994. فصل 4.

¹ انظر أيضًا ق. أنثاسيوس .. هكذا وإن كان الله أبًا فلا بد أن يكون لمن هو ابن بالطبيعة ومن نفس جوهر الآب " الرسائل عن الروح القدس. المرجع السابق. الرسالة الثانية: 6. وأيضًا " الابن مولود من الآب أى صادر من جوهره، ولأنه ابنه فلا بد أن يكون له نفس الجوهر " ق. كيرلس. حوار حول الثالوث. المرجع السابق ص 49.

² أى علاقة حسب الطبيعة الواحدة الإلهية التي تربط الآب بالابن.

الابن ليس كذلك حتى لو كان يدعى الله. ويقولون: إن الابن يأتي فقط من الله بمعنى أنه يأتي من الله لأن كل الأشياء هي من الله.

كيرلس: هذا بالطبع يعني كأنهم يصرخون عاليًا، وقد تركوا تمامًا كل إحساس بالخل، ويقولون إن الابن ليس هو الله بل هو مساوٍ لكل المخلوقات في طريقة الخلق فهو قد وُلِدَ ووُجِدَ من العدم وحُسِبَ من بين المخلوقات كواحد منها.

وأعتقد أنه من الحكمة الفاتكة أن تجرد كلامهم من كل تزويق وألّا تترك المعارضين يزيتون كلامهم عن . طبيعة الابن . بكلام معسول، فهم لا يؤمنون على الإطلاق بأى شئ حقيقى عنه، ولتقنعهم بأن يقولوا ما يؤمنون به عنه علنًا، لأنى أعتقد أن كلامهم الهزيل سيُنقَد أيضًا علنًا. ويستطيع المرء أن يُدرك حقيقة كون الابن قد أتى من الآب، إن كان عقله غير فاسد ويؤمن بأن هذا لا يعنى شيئًا آخر غير أن الابن قد وُلِدَ¹. أما أنه قد صَدَرَ من ذات جوهر الآب² فقد بيّنه الحوار الذي أجريناه مؤخرًا³. وأعتقد أن على كل عقل يعرف كيف يبحث في العمق، أن يشجع هذا الحوار.

إرميا: إنه أمر طيب أن تكون راغبًا في هذا، أما الاعتراضات التي يمكن أن يثيروها على حججنا فهي كالاتى:

¹ " إن الابن بسبب خصوصيته مع الآب ويسبب أنه المولود الذاتى لجوهر الآب، هو غير مخلوق بل من نفس جوهر الآب " ق. أثناسيوس الرسائل عن الروح القدس. المرجع السابق الرسالة الثالثة: 1.

² الابن هو "المولود الأصيل لجوهر الآب " ق. كيرلس. شرح إنجيل يوحنا. المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية ج5 ص 159.

³ يقصد الحوار الثانى من الحوارات السبعة والذي قام المركز بترجمته ونشره. انظر حوار حول التالوث. المرجع السابق.

يقولون: إن واحد فقط يُدعى الله في العهد القديم كما في العهد الجديد. لأن موسى قد قال "اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد"¹. وأيضًا يصرخ الرب قائلاً: "انظروا الآن. أنا أنا هو وليس إله معي"². وأيضًا "أنا الرب الأول وأنى كائن إلى الأبد ولا يوجد إله لك غيري"³. كما أن الابن نفسه يقول للآب "هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك"⁴. وهم يستطيعون بسهولة أن يسيروا إلى آيات عديدة مثل هذه وسيحاولون بوجه عام تفسيرها مستخدمين حججهم، وهم يتوقعون أن البعض سيؤمن بسرعة أن الآب هو فقط الإله الحقيقي وأنه لا يوجد آخر غيره قط.

كيرلس: لكن قل لى: لماذا يتعبون أنفسهم في محاولة إقناعنا بما يقولون؟ فنحن لا نحتاج إلى مجهود على الإطلاق. أيها الحبيب. لكى نوافق مباشرةً على ما يقولونه ونؤمن بالآب الإله الحقيقي حسب الطبيعة وذلك وفق نص قانون الإيمان⁵. وهل يمكن للمرء أن يعترض على هذا، وماذا تكون حجته؟ أما إذا قالوا: إنه لا يوجد إله غيره إطلاقًا (في كل الوجود) فإن هذا لا ينطبق على طبيعة الابن في شيء، لأنه بطبيعته مختلف عن كل (الآلهة المخلوقة)⁶

¹ تث4:6.

² تث39:32.

³ إش4:41(س).

⁴ يو3:17.

⁵ حيث يُذكر "نؤمن بإله واحد الله الآب ضابط الكل...". والجدير بالذكر أن ق. كيرلس قد قام بشرح قانون الإيمان الذي أقره مجمع نيقية. القسطنطينية، في رسالة له موجهة إلى الرهبان (رقم 55). انظر هامش 1 ص1.

⁶ "حيث إن الابن ليس بينه وبين المخلوقات أى مشابهة" كما سبق أن أشار ق. أنثاسيوس، انظر: الرسائل عن الروح القدس المرجع السابق. الرسالة الثانية:5 وأيضًا يقول عن الابن "فهو ليس من بين الأشياء المخلوقة". المرجع السابق الرسالة الثالثة: 4.

ولا يُحسب ضمن المخلوقات إذ هو كائن دائماً مع أبيه مُشرقاً دائماً معه وهو يُدرك دائماً مع الذي وَلّده في طبيعة إلهية واحدة. واحد إذاً هو الله وهو الإله الحقيقي لأننا قد عُقنا من تعدّد الآلهة وطالما قد تنقينا أخيراً من لُطخة تعدد الآلهة وعرفنا الرب الحقيقي الواحد، لنترك الآن هذه الأمور ولنأتى إلى موضوعنا لأنى أظن أنه يجب أن نفعل هكذا.

إرميا: أى موضوع تقصد؟

كيرلس: قول الابن إن الآب هو الإله الحقيقي وحده.

إرميا: نعم هكذا قال.

كيرلس: والعهد القديم قال لنا أيضاً أنه لا يوجد إله آخر سواه.

إرميا: بالفعل.

كيرلس: هيا بنا أيها الحبيب نحن أيضاً إلى الكتب المقدسة¹ . ولنفحص

¹ يؤكد ق. كيرلس هنا ما سبق أن ذكره "ولست أدعى أننى سأقول شيئاً أفضل من الذي قاله أسلافنا أو أنى سوف أسير غور الأمور الروحية بشكل أحسن، لأننا نجد كفايتنا فيما كتبه الآباء القديسون، لأن من يقرر أن يتعرّف بحكمة على الآباء ويستخدم كتاباتهم بالحرص الواجب فسوف يسكن النور الإلهي في عقله ". حوار حول الثالوث. المرجع السابق ص17. ويوضح ق. أنثاسيوس أهمية الحرص على الإيمان المسلم مرة بالتقليد والذي يتطابق مع ما جاء في الكتاب المقدس فيكتب في نهاية رسالته الأولى إلى الأسقف سرابيون عن الروح القدس " .. بحسب الإيمان الرسولى المسلم لنا بالتقليد مع الآباء فإنى قد سلّمت التقليد بدون ابتداع أى شئ خارجاً عنه، فما تعلمته بذلك قد رسمته مطابقاً للكتب المقدسة " وعندما طلب منه الأسقف سرابيون أن يشرح له الآية " من قال = كلمة على ابن الإنسان يُغفر له أما من قال على الروح القدس فلن يُغفر له في هذا الدهر ولا في الدهر الآتى " (مت32:31)، فقد فسر ق. أنثاسيوس هذه الآية له في رسالته الرابعة والتي ختمها بالنصيحة التالية " لقد كتبت هذا الشرح حسبما تعلّمت .. أما بالنسبة لك فأرجو أن تقبل هذا الشرح ليس كتعليم كامل

بتدقيق كلام القديسين. هلم إذا لنفحص ربما وُجد مَنْ دَعَى الابن ووَصَفَهُ بأنه إله حقيقي وحده.

إرميا: بالصواب تتكلم.

كيرلس: إذا سنرى أمامنا يوحنا الحكيم والذي دُعي ابن الرعد¹، يصرخ قائلاً "ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية"². ويقدم لنا العون أيضاً باروخ الذي يعلن بوضوح طبيعة ومجد الابن ويصرخ بنفس الطريقة ويشير إلى نفس الأمر بقوله "هذا هو إلهنا ولا يحسب آخر تجاهه هو وجد كل طريق التأدب وأعطاه ليعقوب غلامه وإسرائيل المحبوب منه. بعد هذا ظهر على الأرض وتصرف مع الناس"³. وأيضاً نستطيع أن نقول إن الرسول بولس الطوباوي قد حدثنا عن رب وهو يسوع المسيح وأيضاً داود ينشد بوحى الروح قائلاً: "لأنه مَنْ هو إله غير الرب وهل يوجد إله سوى إلهنا"⁴. إذا لقد دُعي الابن الوحيد الجنس بأنه الإله الوحيد والحقيقي وذلك بطريقة واضحة وأكيدة في الأسفار المقدسة.

إرميا: هذا حق.

كيرلس: بالنسبة لنا طالما أن الآب هو وحده الإله الحقيقي، فإن الابن أيضاً

وتام في ذاته بل كبدية تحتاج إلى أن تكملها معتمداً على نصوص الأنجيل والمزامير. المرجع السابق.

¹ مر3:17.

² يو5:20.

³ باروخ3:38.

⁴ مز18:32(س).

هو إله مساوٍ له ولا يوجد أى اختلاف بينهما (في الجوهر) ولا يمكن أن يُحسب معهما أحد آخر على الإطلاق. إذاً إلى أين يتجه فكر هؤلاء الذين يعتقدون بما ينادون به، لأن طبيعة الآب والابن ستحول دون ذلك الفكر وإلا كانت غير مستحقة للمجد اللائق بها كطبيعة إلهية طالما أنها ستكون متغيرة وغير ثابتة؟¹ وبالعكس لو أننا نسبنا للابن فقط الألوهة الحقيقية ولم نحسب معه أحدًا غيره إلهًا، أفلن نحد بذلك من مجد الآب، الأمر الذي لا يحق لنا أن نقوله؟ أوليس غير صحيح أن نقول إنه طالما نقبل أن الآب فقط هو وحده الإله الحقيقي أننا نؤكد بذلك فوراً أن الابن له طبيعة مختلفة عن الآب وبالتالي فإننا نجرده من الألوهة الكاملة وبالتالي تكون له طبيعة أخرى؟

إرميا: بالطبع إن معانى الكلمات² تقود إلى هذا الفكر. ومع هذا فالمعارضون لديهم الحق في أن يقولوا بأنه إن كان الابن هو إله حقيقى فإن هذا سيمنعنا من القول بأن الله هو واحد بل سيضطرنا إلى القول بأنه اثنين.

كيرلس: إن تلك الأمور الغريبة التي ينادون بها هي غير واضحة بالمرة، ويمكن اعتبارها أنها طريقة من طرق التجديف المعروفة التي تنتشر بسرعة. غير أن هدفنا ليس هو أن نفحص من أين يأتى هذا التجديف بل بالحرى أن نعترف أنه يجب أن ندرك كيف أن الابن قد وُلِدَ من جوهر الله الآب وأنه إله حق من إله حق³ وأنه لم يولد من طبيعة غريبة ومختلفة، وأن له كل ما

¹ الطبيعة الثابتة والتي لا تقبل أى تغيير هي الطبيعة الإلهية. أما طبيعة باقي المخلوقات فهي قابلة للتغيير وتنصف بعدم الثبات.

² أى كلمة "أب"، "ابن" حيث إن الأب لابد أن يلد ابناً له نفس طبيعته.

³ بحسب نص قانون الإيمان النيقاوى . القسطنطينى.

للآب حسب الجوهر عدا كونه أباً¹. وإذ نحصى الروح القدس مع الآب والابن في الألوهة الواحدة، فإننا هكذا نسجد لثالوث واحد مساوٍ في الجوهر الإلهي.

إرميا: لكن إن قالوا إنه لو قبلنا بوجود ثلاثة أقانيم، فإنه سيمن أن نفهم حينئذ أن الألوهة مثلثة (أى يوجد ثلاثة آلهة).

كيرلس: بالنسبة لنا فإن الحقيقة الإلهية تعلمنا² أن الأمور ليست هكذا.

¹ يوضح ق. أنثاسيوس حقيقة ألوهية الابن المتجسد بكونه مختلف في جوهره عن كل المخلوقات وبأن له ما لله الآب فيقول: [وحيث إنه غريب عن المخلوقات حسب الجوهر، ولكنه الكلمة الخاص بالآب وهو لا يختلف عنه وحيث إن كل ما للآب هو له، فذلك يقضى أنه من نفس جوهر الآب .. وهذا ما أدرکه الآباء حينما اعترفوا في مجمع نيقية أن الابن مساو للآب في الجوهر ومن نفس جوهره. لقد تحققوا جيداً أن الجوهر المخلوق لا يستطيع أن يقول " كل ما للآب هو لى " وبسبب أن وجود الجوهر المخلوق له بداية، فهو ليس كائنًا بذاته ولم يكن أزليًا، ولذلك فحيث إن الابن له هذه الخصائص وحيث إن كل الأشياء السابق ذكرها والتي للآب هي للابن، فمن الضروري أن يكون جوهر الابن غير مخلوق بل هو من نفس جوهر الآب. لهذا السبب . فلا يمكن أن يكون جوهره مخلوقاً فهو يملك خواص الله، تلك الخواص التي له والتي بها يُعرف الله]. الرسالة الثانية إلى سربايون عن الروح القدس: المرجع السابق فقرة: 5، ضد الآريوسيين. المرجع السابق 3:3.

² يمثل التعليم بعقيدة الثالوث، تعليمًا أساسيًا وجوهريًا في إيماننا المسيحي ولهذا فإن القديس غريغوريوس الناطق بالإنجيل يصف هذه العقيدة بأنها "رأس الإيمان". ويقول ق. أنثاسيوس في سياق دفاعه عن ألوهية الروح القدس وبالتالي دفاعه عن وحدة الثالوث وألوهيته قائلاً " دعونا ننظر إلى تقليد الكنيسة وتعليمها وإيمانها الذي هو من البداية والذي أعطاه الرب وركز به الرسل وحفظه الآباء وعلى هذا الأساس تأسست الكنيسة ومن يسقط منه فلن يكون مسيحياً ولا ينبغي أن يدعى كذلك فيما بعد وإذا يوجد ثالوث قدوس وكامل ويُعترف بلاهوته في الآب والابن والروح القدس." = انظر الرسائل عن الروح القدس إلى الأسقف سربايون. مركز دراسات الآباء 1994. الرسالة الأولى: 28 ص 83.82. انظر أيضاً: عقيدة الثالوث القدوس. في كتاب " تعاليم عقيدية في الصلوات الليتورجية " د. جوزيف موريس فلتس، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية. القاهرة 2004 ص 35.21. وأيضاً:

Trinity: in the encyclopedia of Early Christianity, second Edition, 1998, P 1143.

لأننا قد تعمّدنا باسم الآب والابن والروح القدس¹، وبالطبع لا نقول إننا نؤمن

¹ يشدّد الآباء على أن الكنيسة في ممارستها لسر المعمودية باسم الثالث، تعكس إيمانها بحقيقة ألوهية الأقانيم الثلاثة وهو إيمانها الواحد والذي على أساسه تُجرى المعمودية الواحدة والتي يسميها ق. أثاناسيوس "طقس التكميل" والذي يتم به الإنضمام إلى الكنيسة ويقول: [هذا هو إيمان الكنيسة الجامعة لأن الرب أسسها وأصلّها في الثالث حينما قال لتلاميذه " اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس]. الرسالة الثالثة إلى سربايون عن الروح القدس، المرجع السابق فقرة 6. وأيضاً يقول " فاللوهة الثالث واحدة وإيمان واحد وتوجد معمودية واحدة تعطى فيه وواحد هو التكميل ". الرسالة الثالثة إلى سربايون عن الروح القدس، المرجع السابق فقرة: 7. والجدير بالذكر أن ق. أثاناسيوس في محاربته لأفكار الأريوسيين الذين أنكروا ألوهية الابن كان قد حرّهم من عدم جدوى سر التكميل أى المعمودية لأنهم ينكرون الابن وبالتالي ينكرون ألوهية الآب فيقول: [أما هؤلاء الأريوسيون فإنهم يخاطرون بفقدان إتمام السر وأعنى به المعمودية لأنه إن كان إتمام السر يعطى باسم الآب والابن وهم لا يقرّون بأي حقيقة بسبب إنكارهم للابن الذي هو منه، الذي هو مثله في الجوهر، منكرين الابن الحقيقي ويسمون لأنفسهم أبناً آخر... ألا يكون طقس المعمودية الذي يتمونه فارغاً تماماً وعديم الجدوى، إذ أن له مظهر خارجي، أما في الحقيقة فإنه ليس له شئ يعين على التقوى؟ لأن الأريوسيين لا يعمّدون باسم الآب والابن، بل باسم خالق ومخلوق .. فليس من يقول ببساطة "يا رب" هو الذي يُعطى المعمودية بل هو ذلك الذي مع الاسم الذي يدعوه، عنده أيضاً إيمان مستقيم ... ومع الإيمان المستقيم يأتي إتمام المعمودية]. المقالة الثانية ضد الأريوسيين 42. كما أنه يستخدم نفس هذا التوجه الإيماني في محاربته لأفكار "المحرفون" الذين أنكروا ألوهية الروح القدس فيقول: [إن التكميل (المعمودية) الذي تحسبون أنكم تمارسونه ليس إنضماماً تاماً إلى اللاهوت لأنكم تمزجون المخلوق باللاهوت وتضعون الخليقة مع الله الذي خلقها بكلمته الذاتي .. فمن هو الذي يوحدكم بالله إن لم يكن لكم روح الله بل الروح الذي من الخليقة؟ .. لأنه إن كان الروح . كما تقولون . هو ملاك ومخلوق وفي نفس الوقت يحسب مع الثالث، إذاً يكون ضرورياً، ليس لواحد فقط من الملائكة الذين خلقوا، أن يحسبوا مع اللاهوت، = وبذلك لا يعود هناك فيما بعد ثالث بل عدد لا يحصى في اللاهوت. وهكذا فإن طقس الإنضمام (المعمودية) الذي نكرر أنه يظهر أنه طقسكم، هو منقسم بين هنا وهناك وصار غير أكيد بسبب نقله]. الرسالة الأولى إلى سربايون عن الروح القدس، المرجع السابق: 29. ويتابع ق. أثاناسيوس تعليمه عن الإيمان بالثالث الواحد وعلاقته بالمعمودية على اسم الثالث فيقول: [لأنه كما أن الإيمان بالثالث . المسلّم إلينا . يجعلنا متحدين بالله، وكما أن ذلك الذي يستبعد أحد أقانيم الثالث ويعتمد باسم الآب وحده، أو باسم الابن وحده أو باسم الآب والابن بدون الروح القدس، لا ينال شيئاً بل يظل غير فعّال وغير مكتمل، هو نفسه وذلك الذي يفترض أنه ضمه (بالمعمودية)، هكذا ذلك

بثلاثة آلهة، لكن بألوهة واحدة ممجدة في الثالوث القدوس¹. فلماذا إذاً تتسرع محاولاً أن تُخضع تلك الأمور التي تفوق العقل لأفكار بشرية²، تلك الأمور

الذي يفصل الابن عن الآب، أو من ينزل الروح إلى مستوى المخلوقات، فليس له الآب ولا الابن بل هو بدون إله، وهو أشرف من غير المؤمن، ويمكن أن يكون أى شئ إلا أن يكون مسيحياً لأن كما أن المعمودية التي تعطي الآب والابن والروح هي واحدة فإن الإيمان بالثالوث هو واحد [المرجع السابق. الرسالة الأولى:30].

¹ في محاولته لبيان "سر المسيح" الذي كانت أحداث وشخصيات العهد القديم ظلاً له، واستعلن لنا بتجسد الابن الوحيد، أوضح ق. كيرلس في مجال شرحه لحادثة الطوفان وإلى من كان يرمز نوح وإلى أى شئ يرمز الفلك وإلى من تشير مقاييسه وأبعاده ... الخ. فيقول "إن هذه المقاييس تشير بكل وضوح إلى الثالوث القدوس الواحد في الجوهر وإلى أن الطبيعة الإلهية كاملة تماماً". ثم يشرح دلالات هذه المقاييس بقوله: [انتبه إذاً إلى ما ورد في الكتاب المقدس بخصوص الثلاثمائة ذراع والتي ترمز إلى الكمال. لأن هذا كان طول الفلك لكن عرض الفلك الذي يبلغ خمسين ذراعاً يعبر جيداً عن وحدة الألوهة التي هي كمال الكمال فإن الخمسين هي سبع سبعات وتضاف إليهم وحدة واحدة لأن الطبيعة الإلهية هي واحدة. أما ارتفاع الفلك فلا يعلن لنا أى شئ آخر سوى هذه الألوهية، لأنه يصل إلى ثلاث عشرات وينتهي أيضاً إلى ذراع واحد الذي هو فوق الكل والأعظم. لأنه يقول "ثلاثين ذراعاً ارتفاعه وتصنع كوا الفلك وتكملة إلى حد ذراع من فوق" (تك6:16) أى بينما الثالوث القدوس هو ثلاثة أقانيم إلا أن له طبيعة واحدة إلهية، ولكننا إن كنا نقول إن الآب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم إلا أننا نؤمن بطبيعة واحدة وأنهم متحدون في جوهر واحد، وهذا ما أشار إليه بقوله "وتكملة إلى حد ذراع من فوق". حسناً قد خلصنا المسيح بالإيمان وأدخلنا إلى الكنيسة فهي كمثل فلك ندخل إليها لننتصر على خوف الموت وننجو من نيران هذا العالم لأن نوح البار. أى المسيح. سيكون معنا [انظر "جلافيرا" أى تعليقات لامعة: ترجمة الباحث جورج عوض إبراهيم، نُشرت بالكتاب الشهري للشباب والخدام. المقالة الثانية على سفر التكوين، عدد يونيو 2004 ص19].

² وأيضاً نجد أن ق. أثناسيوس في رسائله إلى سربايون عن ألوهية الروح القدس، يعلق على أفكار الهراطقة بقوله: "لأن هذا الذي سلم إلينا بواسطة الإيمان لا يجوز لنا أن نقيمه بمقاييس الحكمة البشرية. بل يسمع الإيمان لأن أى عقل يمكنه أن يفسر بإحكام، الأمور التي تعلو على الطبيعة المخلوقة، أى سمع يمكنه أن يدرك الأشياء التي لا يسوغ للبشر أن يسمعوها أو ينطقوا بها". مركز دراسات الآباء 1994، الرسالة الأولى: 17 ص62. ويعترض على توجيه الهراطقة للأسئلة حول حقيقة الثالوث الذي يجب عليهم أن يؤمنوا به أولاً كي يفكروا به فيقول "إن توجيه مثل هذه الأسئلة عن الله

التي أعتقد أنه يجب أن يُنظر إليها فقط بالإيمان الخالي من كل شك؟ لأن التساؤل عن ماهية التالوث وعن طبيعة الألوهة هو أمر غير لائق بالمرة ويدل على عدم التقوى¹. وعلى عكس ذلك فإن التقوى هي أن نرغب في أن نفكر بطريقة سليمة كيف أننا نسجد للتالوث القدوس الإله الواحد. أتوافق إذاً يا إرميا على أننا نفهم هذه الأمور ونؤمن بها بطريقة صحيحة، بينما المخالفون يحاولون بكل الطرق أن ي اخترعوا أموراً غريبة وأفكاراً شاذة لا تخطر على فكر أحد؟

إرميا: صحيح، وأنا أعرف أنهم يحاولون ذلك، لكن كيف يكون الله الذي نؤمن به واحداً بينما نقول إن لكل من الآب والابن أقتومه الخاص؟

يكون جرأة جنونية لأن الألوهة لا تُسلم لنا بواسطة براهين كلامية بل بالإيمان مع التفكير بنقوى ووقار ". الرسالة الأولى: 20 ص 68.

¹ التساؤل ليس فقط عن ماهية التالوث بل وأيضاً عن كل الأمور العقائدية والإيمانية هو دليل على "عدم التقوى إذ يجب أن نسلم بكل هذه الحقائق كما هي، أو كما سبق وأن كتب ق. كيرلس أيضاً أننا يجب أن لا نكون فضوليين أكثر من ذلك، وألاً نجازف بالفحص المتهور لما تسلمناه بالإيمان. وذلك لأن الذي من الإيمان لا تسعى لامتلاكه بطرق أخرى .. وما يعتمد على البحث العقلاني ليس إيماناً. فالإيمان الحقيقي بعيد كلفة عن كل محاولات بشرية للتأكد من صدقه " حوار حول التالوث. المرجع السابق ص 9291. وفي هذا يقول أيضاً ق. هيلاري أسقف بواتيه بفرنسا (367315م): " نحن مضطرون بسبب أخطاء الهراطقة والمجذّفين لأن نعمل ما هو غير مباح وأن ننسلق المرتفعات وأن نعبّر عن الأشياء التي لا ينطق بها وأن نتناول أمور محظورة. ومع أنه ينبغي علينا أن ننفذ الوصايا من خلال الإيمان وحده، عابدين الآب وساجدين للابن معه، وفرحين في الروح القدس فنحن مضطرون لتوسيع قدرة لغتنا الضيقة، للتعبير عن الحقائق التي لا توصف، كما أننا مجبرون بسبب تجاوزات الآخرين أن نتجاوز نحن في محاولة محفوفة بالمخاطر، حين نضع في كلام بشرى ما كان يجب أن يُحفظ في عقولنا برهة مقدسة... إن خيانتهم قد جرّتنا إلى هذا الموقف الخطير والمريب، حيث قد تميّن علينا أن نضع عبارات محدّدة تذهينا أبعد ممّا قد وصفته السماء عن أمور سامية للغاية ومخفية

في الأعماق ". عن التالوث 2:2، 5. The father of the church, the Catholic University of America Press Washington, p.c. vol. 25. p. 36.

كيرلس: إن ما يساعدنا في فهم هذا الأمر هو أن نأخذ في اعتبارنا حقيقة وحدة الجوهر، تلك الوحدة التي بها يكون للأقنومين جوهر واحد، مع حفظ ما يخص كل منهما كأقنوم وألاً تُنسب الإزدواجية إلى الطبيعة البسيطة¹ ولا حتى بسبب الخوف أننا ربما نخدش بساطة الطبيعة عندما نتحدث عن أقنومين. ونستطيع أن نبين أن الكلام عن وحدة الجوهر هو كلام حق من كل الشهادات التي وردت عن الابن في الكتاب المقدس. بمعنى أنه لأن الآب بطبيعته هو الله بالحقيقة فإنه سيقبل أن يكون الابن بطبيعته هو الله بالحقيقة، بسبب أن لكل منهما أقنومه الخاص ولهما نفس الجوهر. وليست هناك طريقة أخرى لذلك عدا أن يكون الابن من ذات الآب وأن الابن له في ذاته نفس طبيعة الذي ولّده، وبهذه الطريقة يمكن أن يفهم ما يقال بأن الابن والآب هما واحد. وهكذا، فعلى سبيل المثال نجد أن فيلبس قد وُيخّ لأنه لم يعبر عن عطشه للمعرفة بكلمات واضحة. وإذا كان من الممكن أن يرى وبكل وضوح طبيعة الله الآب في شخص الابن فإنه قال "يا سيد أرنا الآب وكفانا"². والرب قد أجابه قائلاً: "أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس الذي رآني فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب، أليست تؤمن أنني في الآب والآب فيّ"³. "أنا والآب واحد"⁴. وقول الرب هو حق لأنه بما أن الابن مولود من جوهر الله الآب، فإنه بالقطع كائن في الآب، وهو (الابن) يستطيع من خلال طبيعته أن يُظهر طبيعة الذي ولّده. وطالما أن الآب لا

¹ توصف الطبيعة الإلهية بأنها طبيعة بسيطة وغير مركبة، فالطبيعة البسيطة غير قابلة للإنقسام لأن التركيب هو بداية الإنقسام. انظر أيضاً هامش 3 ص25.

² يو 8:14.

³ يو 14:109.

⁴ يو 10:30.

يُذَرَكُ إِلَّا بِالْأَبْنِ فِي الْإِبْنِ، وَبِمَا أَنَّ الْإِبْنَ هُوَ رَسْمُ جَوْهَرِ الْآبِ¹، فَإِنْ طَبِيعَةُ مَنْ وَلَدَهُ تَكُونُ فِيهِ هُوَ أَيْضًا. وَأَعْتَقِدُ أَيْضًا وَبِحَسَبِ مَا نُؤْمِنُ، أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ نَقُولَ إِنْ مَا يَقَالُ عَنْ أَى مِنْهُمَا يَسْرَى عَلَى كُلِّ مِنْهُمَا لِأَنَّ لِكُلِيهِمَا نَفْسَ الْمَجْدِ.

أمثلة عن شركة الخصائص الذاتية للآب والابن: المثال الأول:

إرميا: وماذا تقصد بهذا؟

كيرلس: ألا تعرف يا صديقي أن بولس الطوبواوى يكتب عن الله الآب قائلاً: "لكى يكون الله الكل في الكل"².

إرميا: وما معنى هذا؟

كيرلس: انتبه، فالقديس بولس أعطى نفس المجد للابن ويزين طبيعة الابن الوحيد بتلك الأمور التي تمجد الآب وذلك عندما قال في موضع آخر عن

¹ انظر عب 1:3. في سياق رده على الذين يخلطون بين صفتي "الخلق" و "الولادة" في الطبيعة الإلهية البسيطة، استخدم ق. كيرلس هذه الآية وتساءل قائلاً: "كيف يمكن أن نعتقد أن الابن هو رسم المجد الذي لا يُعبّر عنه وبهاء جوهر الله الآب، إن لم يكن يمتلك إمتياز كونه مولوداً، أو إن كانت ولادته مجرد كلمات جوفاء أو إن كان مختلفاً في طبيعته عن الآب وبذلك يُحسب ضمن المخلوقات؟ وفي هذه الحالة ما الذي يمنعنا من أن نحسب الآب أيضاً ضمن باقي المخلوقات، ونضطر نتيجة لذلك أن نعتبر الآب مثل باقي الكائنات التي تخضع للتغيير مادام صورته ورسم جوهره خاضعاً أيضاً للتغيير". حوار حول الثالث. المرجع السابق ص85. ويقول أيضاً: "إن أزلية الابن مشهود لها من الآب إذ هو مولود من الآب أزلياً بالطبيعة". ويستشهد بنفس الآية السابقة لإثبات ذلك ويعطى مثل الشمس والشعاع لإيضاح هذه الحقيقة انظر حوار حول الثالث المرجع السابق ص103.104.

² 1كر 28:15.

الابن "الذي يملأ الكل في الكل" ¹.

إرميا: نعم لقد قال هذا.

كيرلس: أعتقد إذًا أن المرء سيُمكنه أن يتساءل عن كيفية حدوث ذلك (لأنه سيقول) طالما أن الله الآب يملأ الكل ويوجد ويُعرف من الكل بأنه الله فإنّي لا أرى أى مساحة (متبقية) يمكن أن يملأها الابن. ولهذا فنحن مجبرين على أن نفكر بأنه إن لم يكن الواحد منهما في الآخر جوهريًا فحينئذ فإن ملء الكل بواسطة الله الآب سيكون لا لزوم له، لأن الملء سيكون كافيًا بواسطة الابن. أو عكس ذلك إذ أنه إن كان الله الآب يملأ الكل، حينئذٍ سيكون الملء المُعطى للكل من الابن بدون داعٍ طالما أن الآب كافٍ وقادر على أن يملأ الكل. وكيف يمكن للمرء أن يثبت أن الكل ينقصه شيء طالما أن الله الآب هو الذي يملأ هذا الكل. وهكذا يا صديقي، تجد أن كلمات الحكيم يوحنا . في فكر المعارضين . هي بلا معنى، وأن تمجيده للابن كان بدون وجه حق عندما قال عن الابن والقديسين "ومن ملئه نحن جميعًا أخذنا" ²، فلأى شيء كانت حاجتهم التي أخذوها من ملء الابن طالما أن كل ما كانت الخليقة في احتياج إليه موجودًا في الله الآب وحده، وتكون الخليقة غير محتاجة لشيء

¹ أف 1:23.

² يو 1:16. يرى ق. كيرلس في هذه الآية ما يوضح إختلاف طبيعة الابن عن طبيعة باقى المخلوقات وأنها تثبت ألوهيته فيقول: " نحن نأخذ من ملئه والطبيعة الإنسانية التي وجدت أنها =تحتاج إلى كل شيء تأخذ من ملئه. من ملء الابن كما من الينبوع الأصيلى وعطية النعم الإلهية تتدفق على كل نفس تستحق أن تأخذ. وإذا كان الابن يعطى من ملء طبيعته، فالخليقة هي التي تأخذ. وكيف يمكن أن يعتقد أحد أن الخليقة لها ذات المجد الذي للابن. فهو يعلو الجميع بحسب طبيعته الخاصة ويفوق الكل بكرامة كيان أبيه ". شرح إنجيل يوحنا، إصدار مركز دراسات الآباء، القاهرة 1989، ج 1 ص138. ويعود ق. كيرلس لإستخدام هذه الآية مرة أخرى. انظر ص73.

من أى أحد غيره؟

إرميا: لقد تكلمت بالصواب.

كيرلس: وعندما نفحص بالضبط ما هو "الملء" المُعطى من كل من الآب والابن فإنه يصير واضحاً إذاً بالنسبة لكل منا أنه، إن كان الجوهر منقسماً في كليهما حتى أنهما يصيران مختلفين (في الجوهر)، أقلن يعنى هذا إذا أن الملء الخاص لكل منهما سيكون متناسباً مع طبيعته (الخاصة به)؟
إرميا: حتماً.

كيرلس: فلو قلت إن الآب هو إله حقيقى فحتمًا ستكون أفعاله هى إلهية، بينما لو قلت إن الابن هو مجرد من الألوهة الحقيقية فيتبع ذلك أن قدرته على الملء ستكون طبعاً غير إلهية، وستكون متفقة حتمًا مع طبيعته (الغير إلهية). وهكذا سيكون كل الملء فينا مزدوج وغير متساوٍ. وطالما أن الملء المُعطى بواسطة الآب كان كافياً لهؤلاء الذين نالوا الخلاص، إذ هو ملء إلهي أعلى من كل ملء. فإذا كان حقيقياً أن الابن لا يعمل كما يليق بإله حسب الطبيعة إذاً فإنه لم يصف إلينا غير ملء أقل من ملء (الآب). وأيضاً لو قبلنا أن ملء الابن هو أمر نافع وهام وضرورى لخلاصنا فلن يتبقى إلا أن نفكر وأن نقول إن الأفضل قد احتاج إلى الأدنى، وأن الأصغر قد أضاف إلى الكامل ما ينقصه، هذا إن كان حقيقياً أن الملء المعطى بالله الآب لم يكن كافياً لخلاصنا. وهذا اتهام سخيف ويجب ألا يكون إيماننا بهذه الحقائق هكذا.

وبالتالى فيلزم أن نُلقى عنا بعيداً كل هذا الهذيان. فما نؤمن به وما نعتقد

هو أن فعل الآب والابن واحد¹، كما أن الملاء الحادث فينا بواسطة الآب والابن هو واحد، وذلك لأن طبيعة الآب والابن هي واحدة. فالواقع أن الطبايع التي يصل اختلافها إلى حد التباين والتي تتباعد فيما بينها تمامًا إلى حد الغربة لا يمكن أن يكون لها نفس الفعل المتساوي والمتطابق في أى من الكائنات. لكن حيث تختلف الطبايع بالضرورة تكون الأفعال أيضًا مختلفة وغير متشابهة.

إرميا: هذا حقيقي. غير أنى أريد أن أسألك كيف نفهم أن الملاء يحدث فينا بواسطة الآب والابن طالما أن هذا الملاء واحد ومتشابه.

كيرلس: بالتأكيد ليس هناك مانع ولا صعوبة في شرح هذه الحقيقة. وهل هناك طريقة أخرى تمكّننا من ذلك سوى معونة الروح القدس؟ ذاك الذي هو نفسه يملأنا بالنعمة الإلهية. والذي يجعلنا شركاء الطبيعة الإلهية؟² لأنه هكذا كتب تلميذ المسيح " بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا إنه قد أعطانا من

¹ وقد سبق ق. أثناسيوس أن استخدم ما جاء في رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس 13:13 " نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وبشرية الروح القدس مع جميعكم " وبذلك بهذا على ألوهية أقانيم الثالوث ووحدهم في الطبيعة والفعل فيقول: " لأن هذه النعمة الإلهية التي تعطى في الثالوث من الآب بالابن في الروح القدس، وكما أن النعمة المعطاة هي من الآب بالابن، هكذا فإنه لا يكون لنا شركة في العطية إلا في الروح القدس. لأننا حينما نشترك فيه تكون لنا محبة الآب ونعمة وشركة الروح نفسه. ويتضح مما سبق أن فعل الثالوث هو واحد. فالرسول لا يعنى أن ما يعطى، يعطى من كل واحد متوحدًا ومجزئًا ". الرسالة الأولى إلى سربيون عن الروح القدس المرجع السابق، 30، 31.

² بطا: 4:2 بمعنى أن نكون شركاء في عطايا ونعمة ومواهب الروح القدس. في موضع آخر وفي دفاعه عن ألوهية الابن المتجسد، يتحدث ق. أثناسيوس عن علاقتنا بالابن والتي تتم عن طريق الروح القدس على أنها علاقة مع الابن وكلمة الله ذاته، مستخدمًا نفس هذه الآية للتدعيم تعاليمه. انظر المقالة الأولى ضد الأريوسيين، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، فقرة 16.

روحه " ¹.

إرميا: وهل يتم فينا الملاء من كل من الآب والابن بواسطة الروح القدس الواحد معًا، أم يتم من كل واحد منهما على حدة؟

كيرلس: تمامًا يا إرميا، غير أن ما يدفعك إلى التساؤل لكي تتعلم . على ما أعتقد . هو أنه إن كان الملاء يتم فينا بواسطة الآب والابن فكيف وقد صار هذا الملاء تامًا أن يتم فينا فعل ملء الروح القدس أيضًا؟

إرميا: وما هو رأيك إذا؟

كيرلس: ربما أنك تفكر . وكما هو طبيعي . ونقول إنه إن لم يكن للابن طبيعة مساوية لطبيعة الآب، طالما أن الابن . حسب ما يعتقد هؤلاء . أقل في جوهره من جوهر الآب، فلا أعرف كيف سيفعلان (أى الآب والابن) شيئًا في داخلنا طالما أن الابن غير مساوٍ (للآب) ومتغير في كل شيء، وحينئذٍ كيف سيمكن اعتبار أن ملء الآب والابن قد تم فينا؟

ثم كيف سيتم فينا هذا الملاء بواسطة الروح القدس وحده، إن كان من المحتمل أنه يفعل فينا فعل ملء الآب والابن كخادم ² مع أنه يحمل إلينا هذا

¹ 1يو4:13.

² يشدد ق. كيرلس على أن الروح القدس بسبب أنه رب وواحد في الجوهر مع الآب والابن، فإنه يعمل بسلطة بحسب طبيعته الإلهية وليس كخادم. وفي صلاة سر حلول الروح القدس في القديس الإلهي المنسوب لاسمه يقول " وإرسل إلى أسفل من علوك المقدس ... روحك القدوس الكائن بالأقنوم، غير المستحيل ولا متغير الرب المحيي ... الفاعل بسلطة مسرّتك، الطهر على الذين أحبهم وليس كخادم " الخولاجي المقدس. دير البراموس الطبعة الثالثة 2002 ص467. وفي شرحه ليوحنا 14:2625 يقول: " فالروح لأنه يعرف ما هي مشورة الابن الوحيد فهو يخبرنا بكل شيء، وهو لا يأخذ هذه المعرفة بالتعلم لكي لا يبدو أنه يشغل رتبة الخادم الذي ينقل كلمات آخر بل هو روحه، وإذ يعرف . دون تعلم . كل ما يخص ذلك الذي هو منه وهو كائن فيه، فإنه يعلن الأسرار الإلهية للقديسين ". وأيضًا يكرر نفس هذه

الملء بحسب طبيعته الإلهية التي هي نفسها طبيعة الآب والابن.

إرميا: كلامك معقول، لأن هذا هو ما يدور في عقلى بالفعل.

كيرلس: إذا لنوجّه حديثنا نحو هذه الأمور ويمكننى أن أقول إن من يمكنه بذاته أن يجعل الآخر يشترك في أشياء أخرى بدون أن يفقد علاقته الطبيعية بها، فإنه يتصرف بطريقة تدل على أنه مساوٍ لها. لأنى أعتقد أن كل من يُظهرون أن لهم فيما بينهم فعل متساوٍ في القوة، فبالضرورة لابد وأن يكون لهم نفس الطبيعة.

إرميا: استطرد من فضلك في حديثك معطياً لى مثلاً حتى أستطيع أن أتابعك.

كيرلس: سأستطرد في الشرح وسأقول لك إن الشمس¹ على سبيل المثال

الحقيقة، لكن من جهة علاقة الآب بالروح القدس فيقول في شرحه ليوحنا 15:16 " كل ما للآب هو لى ". [الله الآب له روحه الذاتى من ذاته وفي ذاته أى الروح القدس الذي بواسطته يسكن في القديسين ويعلم لهم أسرارهم . لا كأن الروح يمارس مجرد وظيفة خدمة . بل بالحرى لأنه هو فيه جوهرياً ومنبثق منه بغير انفصال ولا إنقسام وهو يفسر ما هو خاص بذلك الذي هو كائن فيه والذي منه يصير . وهذا ما هو يخصه أيضاً هو نفسه . لأن الله له إتحاد بالخلقة، فقط بواسطة ابنه في الروح وهذا الروح يخص الابن الوحيد لأنه واحد معه في الجوهر]. انظر مقال "الروح القدس عند القديس كيرلس" د. نصحى عبد الشهيد، ضمن كتاب "الروح القدس عند الآباء". مركز دراسات الآباء 1994. ويؤكد ق. أمبروسيوس نفس هذه الحقيقة الإلهية بقوله: [ويكل يقين الروح القدس ليس خادماً بل شاهداً للابن، وهذا ما يقوله الابن نفسه " هو يشهد لى " (يو 15:26) فالروح شاهد للابن والشاهد يجب أن يعرف كل شئ لأن الله الآب هو أيضاً شاهد]. كتاب الروح القدس. مؤسسة القديس أنطونيوس 1983 الكتاب الأول ص24.

¹ كثيراً ما استخدم الآباء تشبيه الشمس وأشعتها لإثبات وحدة الجوهر الإلهى للآب والابن. انظر على سبيل المثال: القديس أثاناسيوس، تجسد الكلمة، ترجمه عن اليونانية وتعليقات د. جوزيف موريس فلتس، إصدار المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية، طبعة ثالثة 2004 الفصل 32 فقرة 3 ص 9190. انظر أيضاً المقالات ضد الآريوسيين إصدار المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية، المقالة

تُرى وتُدرك على أنها شئ واحد في حد ذاته، عالية هناك، وتتبع نظامًا محددًا حسب ما قصد خالقها. هذه الشمس تُرسل لأسفل أشعتها وتتصل بالموجودات على الأرض، وتنقل إليها الإحساس بالحرارة. وإن أردنا معرفة طبيعة الشمس ومن أين اكتسبتها، فإننا نستطيع ذلك بدون جهد. لأنها ملتزمة وتشبه النار. وكل من اقترب منها ولو لمرة واحدة يستطيع بسهولة أن يدرك ذلك بدليل الأشعة الساخنة التي تأتي منها.

إرميا: تتكلم بالصواب، لأنه بالفعل، يمكن الشعور بها لأنه أمر غير صعب.

كيرلس: بالمثل، كيف لا يكون الأمر الذي تتكلم فيه واضحًا أمام ذوى العقول؟

إرميا: ماذا تقصد؟

كيرلس: أقصد أن طبيعة الشمس لا تختلف عن طبيعة الأشعة التي تصدر منها وتخرق المخلوقات التي تتأثر بحرارتها. لأنه كيف من الممكن أن يكون فعل الشعاع مختلفًا وطبيعة الشمس بالنسبة له هي مصدر إشعاعه، حتى أن الشعاع يُدرك على أن له نفس نوعية جوهر الشمس التي تشعه؟

إرميا: طبعًا لا يمكن أن يكون الشعاع مختلفًا.

طبيعة الروح القدس

الأولى فقرة 13، 25. المقالة الثانية فقرة 33. المقالة الثالثة فقرة 15:5. الرسائل عن الروح القدس إلى الأسقف سربايون، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية 1994: الرسالة الأولى 16، 19، 20، 30. " الآب نور والابن شعاع ونور حقيقي الآب إله حقيقي والابن إله حقيقي ". الرسالة الثانية: 2. القديس غريغوريوس النيسى: ضد أفوميوس، الكتاب الثامن P.G 45. 773B

كيرلس: لنأتِ الآن للحديث عن طبيعة الروح القدس ولنفحص الأمر بتدقيق، بدون أن يخرج حديثنا عن هدفه. لأن الوقت يدفعنا للحديث عن أمورٍ أخرى مهمة. ولنفكر في أحد أمرين. هل نحسب الروح القدس مع الآب والابن وبالتالي له نفس الطبيعة الإلهية الواحدة، أم لا؟¹

إرميا: يقولون إنه واحد هو الإله الحقيقي وهو الآب ومعه لا يحسبون آخر.

كيرلس: وبالتالي وحسب ما يقوله هؤلاء، فإن الابن والروح القدس لا يحسب أى منهما إلهًا حقيقيًا، بل يحسبونهما ضمن المخلوقات العديدة والتي هي . حسب قولهم . لها نفس طبيعة الابن وهي بعيدة كل البعد عن جوهر الله الآب. وليدلنا هؤلاء عن مَنْ هو الله، الذي يوجد أيضًا فينا إن كان الروح القدس يسكن في الذين تعمدوا؟² وأعتقد أنهم لا يقدرون أن يقولوا شيئًا عن الله الآب، غير أن كوننا شركاء الطبيعة الإلهية³ هو حقيقة لا يستطيع أحد أن يحصل عليها بواسطة روح مخلوق لو أن الروح القدس ليس إلهًا من طبيعة الله الآب⁴. ويبقى أن نقول إن الابن فقط هو الذي يوجد فينا مع أنه .

¹ سبق القديس أنثاسيوس أن وصف الذين يحاربون الروح القدس وينكرون ألوهيته بأنهم " لم يدركوا أنه كما لا يجوز أن نفصل الابن عن الآب محافظين على الإيمان الصحيح بإله واحد، هكذا أيضًا فإنهم إذ يفصلون الروح عن الكلمة لا يحتفظون بعد بالإيمان بالوهية واحدة في الثالث لأنهم يمزقون الألوهة ويخلطون معها طبيعة غريبة ومن نوع مغاير " المرجع السابق. الرسالة الأولى: 2.

² سكنى الروح القدس في الذين تعمدوا يدل على ألوهيته، انظر شاهد رقم 1 ص 11.

³ 2بط: 1: 4.

⁴ أكد ق. أنثاسيوس هذه الحقيقة الإلهية مدافعًا عن ألوهية الروح القدس . كما كان قد سبق فدافع عن ألوهية الابن المتجسد . وذلك ببيان كل ما أتمه الابن والروح القدس (إذ هما واحد في الجوهر) لأجل البشرية، الأمر الذي لم يكن في مقدور أى من الخالق عمله. وفي رسائله عن الروح القدس إلى الأسقف سرابيون يقول: " وإن كنا بالإشتراك في الروح نصير شركاء الطبيعة الإلهية فإنه يكون من

وفقاً لما يقولون . له طبيعة مختلفة وهو بعيد عن جوهر الله الآب . ولهذا السبب فهم يُحْصِنُونَ الابن مع المخلوقات . وهكذا فَمَنْ يوجد داخلنا أى الروح، هو مخلوق وليس الله . ومع أنه ليس له علاقة مع الله الآب فإنه يهبنا التقديس . وأيضاً إن هم نظروا إلى أعلى وقالوا إن الابن هو إله فليقولوا لنا، هل سيوجد داخلنا إلهان، طالما أن الآب والابن يسكنان فينا . أم يسكن فينا إله واحد؟ لأن المسيح قال: " *إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبى وإليه نأتى وعنده نصنع منزلاً* " ¹ .

إرميا: لا أعتقد أنهم يقصدون إلهين فربما يميلون نحو الأصح ويقبلون أنه يوجد في داخلنا إله واحد حق حسب طبيعته وأنه . حسب اعتقادهم . هو الآب فقط .

كيرلس: إذا هم مضطرون . وليس بحسب رغبتهم . أن يقولوا الآتى: إن كان يوجد داخلنا إله واحد فقط وهو الآب وأن الابن يأتى معه بدون لزوم أو ضرورة، فإن كان الابن ليس إلهاً حقيقياً، فحينئذ يكون الملاء الذي يتم

الجنون أن نقول عن الروح القدس من طبيعة المخلوقات وليس من طبيعة الله . وعلى هذا الأساس فإن الذين هم فيه، يتألهون وإن كان هو يؤله البشر، فلا يتبقى أن يشك في أن طبيعته هي طبيعة إلهية، وفي نفس الموضوع يقول: " فلو كان الروح القدس مخلوقاً، لما كان لنا إشتراك في الله بواسطته، فإن كنا قد اتحدنا بمخلوق فإننا نكون غرباء عن الطبيعة الإلهية حيث إننا لم نشترك فيها" . انظر الرسائل عن الروح القدس المرجع السابق . الرسالة 1:24 . وواضح هنا تأثير ق . كيرلس بهذه التعاليم .

¹ يو 14:23 . يستشهد ق . أثناسيوس بهذه الآية للدفاع ليس فقط عن ألوهية الابن المتجسد بل وأيضاً عن ألوهية الروح القدس فيقول: " فالمواهب التي يقسمها الروح لكل واحد تمنح من الآب بالكلمة . = لأن كل ما هو من الآب هو من الابن أيضاً . إذا فتلك الأشياء التي تعطى من الابن بالروح هي مواهب الآب . وحينما يكون الروح فينا، فالكلمة الذي يعطى الروح يكون أيضاً فينا، والآب موجود في الكلمة وهكذا يكون كما قال " سنأتى أنا والآب ونصنع عنده منزلاً " . الرسائل عن الروح القدس . المرجع السابق . الرسالة الأولى: 30 .

بواسطته هو بدون أى هدف. وسيكون مجيء المسيح إلى داخلنا هو أمر غير لائق طالما أنه دخول بلا هدف.

لأنه طالما أننا هيكل للإله الواحد وليس لآلهة كثيرين فيجب أن نصرخ إلى الابن كي يخرج من داخل قلوبنا، أو بالحرى من الذي وعد بأن يأتي إلينا هو أيضًا طالما أنه لا يستطيع أحد أن يأتي مع الآب مادام الآب وحده كافٍ بطبيعته الإلهية كي يملأ بالتمام الهيكل الذي سيحل فيه؟

وبالتالى (سأعود مرة أخرى إلى هذا الموضوع) فإن الله لن يأتي إلى داخلنا بواسطة الروح القدس، وذلك لأن من ليس له الطبيعة الإلهية. حسب قولهم. لا يستطيع أن يهبنا أن نكون شركاء الطبيعة الإلهية. وهكذا فإن مجيء المسيح إلى داخلنا مع الآب هو بلا نفع ولن يكون هناك ما يمنعنا من أن نصف قول المطوّب بطرس أنه بلا معنى إذ أنه كيف يقول بوضوح أن المسيح الإله يكون داخلنا بواسطة الآب وأن الآب يدعونا بواسطة الابن أن نكون شركاء الطبيعة الإلهية حقًا.

إرميا: أقوالهم هذه هي خالية من كل تقوى.

كيرلس: نحن نتفق على أن طبيعة الألوهة واحدة. وأن الابن ليس كما يقولون هؤلاء، غريب عن الآب، وأنه إله حقيقى يأتي منه ويوجد فيه، وهكذا فإن طبيعته هي طبيعة الذي ولّده. ولذلك فنحن لا نؤمن أنهما إلهان¹ لكن

¹ هنا يدافع القديس كيرلس عن ألوهية الابن بكونه ضمن الأقانيم الثلاثة لله الواحد ويقول بأننا لا نؤمن أن الآب والابن إلهين لكن إله واحد وفريد يُعبد في ثالوث مقدس، وكان ق. أنثاسيوس قد سبق ودافع بالمثل عن ألوهية الروح القدس ضد الذين أنكروا أنه رب وإله وبالتالي فقد جعلوا أقانيم الله الواحد اثنين وليس ثلاث ولهذا وجه لهم ق. أنثاسيوس السؤال التالى: [وإذاً فحيث إن الكنيسة لها أساس الإيمان، قليل لنا أولئك الناس مرة أخرى وليعطوا جوابًا هل الله ثالوث أم اثنان؟ فإذا كان اثنين فعليكم أن

إله واحد وفريد يُعبد في تالوث قدوس¹. هل تعتقد أنه يجب أن نقبل هذه الحقائق أم نقول إنها غير صحيحة؟
إرميا: إنها صحيحة تمامًا.

المثال الثاني:

صيغة الجمع في الآية " نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا "

كيرلس: انتبه إذا، إن أردت أيها الصديق إلى ما يقوله موسى النبي، الذي يتحدث إلى طبيعة الله البسيطة غير المركبة² بصيغة الجمع. لأنه يمكننا إن

تحسبوا الروح من بين المخلوقات. وبهذا يكون إيمانكم ليس إيمانًا بالله الواحد " الذي على الكل وبالكل وفي الكل " [(أف6:4) المرجع السابق. الرسالة الأولى: 29.

¹ وقد سبق القديس أثناسيوس وأكد هذه الحقيقة بقوله " لأنه كما أن الآب هو الكائن الذي يكون، هكذا أيضًا الكلمة هو الكائن والإله على الكل. والروح القدس ليس بدون وجود حقيقي بل هو يوجد وله كيان فعلى. وليس بأقل من هؤلاء الثلاثة تعتقد الكنيسة الجامعة ". المرجع السابق: الرسالة الأولى إلى سرابيون: 28.

² سبق أن وصف القديس كيرلس الطبيعة الإلهية بأنها "طبيعة بسيطة" انظر هامش 1 ص 14. وهنا يُضيف لها صفة مرادفة وهي أنها "غير مركبة" لأن التركيب هو بداية الإنقسام وهو عكس البساطة. وفي موضع آخر يعطى نفس هذا الوصف بأن: " الجوهر الإلهي بسيط وغير مركب " وذلك في سياق رده الذي يوضح أن الابن هو كلمة الله الآب فيقول: " نحن نؤمن بأن التالوث القدوس المسجود له جوهر واحد رغم جنون الهراطقة الذي يمنعهم من الإيمان. ووحدة الجوهر تفترض وجود مساواة في الخصائص الطبيعية بين الأقانيم. فإذا عدنا إلى افتراض الهراطقة الذي يتوهم وجود كلمة في الآب غير الابن الكلمة، فإن المساواة تفترض أيضًا وجود كلمة ذاتي في الابن طالما أن الابن مثل الآب في كل شيء وهو صورة جوهره ورسم أقنومه (عب 1:3) وأيضًا الروح القدس فيه كلمة ذاتي طالما أن الروح القدس مساوٍ للآب والابن. وهذا يعني أن التالوث صار سداسيًا. وأصبحت الطبيعة الإلهية مركبة. وهذا مستحيل فالجوهر بسيط غير مركب، لا يوجد فيه إلا ثلاثة أقانيم ولا يوجد وسيط بين كل أقنوم وآخر،

انتبهنا قليلاً أن نرى ثلاثة أقانيم في طبيعة ألوهية واحدة¹.
إرميا: أريد أن أعرف بالضبط معنى ما تقول. تكلم معي إذاً بإيضاح أكثر.

كيرلس: أليس حقيقياً أنه وهو يكتب أول كتبه إلينا (التكوين) يشير إلى أن الله هو خالق الكل؟ يقول إذاً إن الله بعدما خلق كل الخليقة، فإنه فقط عندما خلق الإنسان قال "نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا"². وبعد ذلك بقليل أضاف "فخلق الله الإنسان على صورته"³.

بل هو جوهر واحد للثالوث القدوس لا اختلاط فيه بين الأقانيم ". شرح إنجيل يوحنا، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، القاهرة 1989، ج 1 ص 53.

¹ كثيراً ما أجمع آباء وكتّابها على نفس هذا التفسير. انظر على سبيل المثال: رسالة برنابا (كتبت ما بين 70م وسنة 138م). ق. يوستين المدافع والشهيد (+161): الحوار مع تريفو فصل 62. العلامة ترتليان: ضد ماركيون الكتاب الخامس: 12. ق. إيريناؤس: ضد الهرطقات. الكتاب الرابع في المقدمة وأيضاً فصل 20. ق. يوحنا ذهبي الفم. العظة الثانية على سفر التكوين. ويقول ق. أمبروسيوس: [إن الآب يعلن أن الابن مساوٍ له وهو يعمل معه في الخلق في قوله " لنخلق الإنسان على صورتنا كشبهنا " وهذا يعنى أن الآب والابن والروح القدس لهم جوهر واحد لأن "صورتنا وشبهنا " تعنى وحدة القوة الإلهية للثالوث] الروح القدس للقديس أمبروسيوس. المرجع السابق الكتاب الثاني ص 9. انظر أيضاً:

R. Mel. Wilson, st. Andrews: The Early History of the Exegesis of Gen. 1.26. in studia Patristica. Vol 1. 1957. P. 420-437.

² تك 26:1.

³ تك 27:1. في موضع آخر يوضح ق. كيرلس معنى أن الإنسان قد خُلق على صورة الله وكشبهه فيقول: "إنن فقد قبلنا، أن الإنسان منذ البداية، قد خُلق وفكره يسمو فوق الخطايا والشهوات، لكنه لم يكن مُحصناً تماماً من الانحراف في اختياراته. لأن الخالق الأعظم للجميع، قد رأى حسناً أن يترك الإنسان لإرادته المستتيرة ويسمح له أن يعمل ما يفكر فيه، وذلك بدافع نفسه فقط. بمعنى أن الفضيلة كان يجب أن تُتم اختيارياً وليس كأمر إجباري، وأيضاً ألا تكون الفضيلة موجودة بدون تغيير في صفات الطبيعة البشرية، لأن الثبات خاصية الجوهر الإلهي الذي هو فوق الكل ويفوق كل الأشياء. فإله قد خلق الإنسان ذلك الكائن الحي بطبيعة خاصة به كإنسان، مانحاً إياه غنى التشبه به. إذ قد

إرميا: لقد فهمت.

كيرلس: وعندما أراد البعض عن جهل أن يبنوا برجاً يصل إلى السماء قال رب الكل " هَلُم نَنْزِلْ وَنَبْلِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ " ¹. مَنْ إِذَا الَّذِي يَتَكَلَّمُ وَلَمَنْ يَقُولُ " هَلُم نَنْزِلْ وَنَبْلِلْ أَلْسِنَتَهُمْ؟ " لا أعتقد أن يقول هؤلاء إن الله كان محتاجاً لمساعدة الملائكة أو إلى موازنة الخلائق الأخرى، كي يتمم ما أراده. لأن الله هو كَلَى القدرة ويستطيع أن يفعل أى شئ، ويملك في ذاته القدرة على فعل ما يريده بسهولة. وكل الخلائق تستمد قوتها منه. كما نقول إن الله هو الحياة والحكمة وأنه لا يمكن لأى أحد أن يُحيي أو يُشرك الآخرين في منافع الحكمة ما لم تكن هذه المواهب صادرة منه كما من نبع متدفق ². وهكذا . أعتقد . بنفس الطريقة، أنه لا يستطيع أى من الخلائق أن تكون له القدرة أن يحقق شيئاً ما بدون أن يدفعه إلى ذلك الله كَلَى القدرة. وبالتالي فإننا نستطيع أن

رُسمت صورة الطبيعة الإلهية في الطبيعة البشرية بنفخة الروح القدس. وحيث إن الله هو الحياة . بحسب الطبيعة . لذلك فهو يعطى نسمة الحياة " . انظر السجود والعبادة بالروح والحق، ترجمة الباحث جورج عوض، إصدار المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية، ج 1 ص 28.

¹ تك 7:11.

² هذه الحقيقة تخص الأقانيم الثلاثة لله الواحد وتثبت ألوهيتها. وقد سبق القديس أثناسيوس وعلم في سياق دفاعه عن ألوهية الروح القدس بأن كل الخلائق تشترك فيه وأنه لا يمكن أن يفقد قداسته لأنه = (أى الروح القدس) لا ينالها عن طريق الإشتراك ولكنه يملكها جوهرياً في ذاته وأيضاً يقول عنه: "فإن كان هو دائماً كما هو ودائماً يشترك فيه، وإن كانت المخلوقات تشترك فيه، فالروح القدس لا يمكن أن يكون ملاكاً ولا مخلوقاً على الإطلاق بل هو خاص بالكلمة " . الرسائل عن الروح القدس. المرجع السابق. الرسالة الأولى: 27. وفي موضع آخر يتبع نفس المنهج لكن من جهة الابن فيقول: "وإذا فإن ذلك الذي لا يتقدس بواسطة آخر، ولا يأخذ القداسة بل هو نفسه الذي يشترك فيه والذي فيه تتقدس كل المخلوقات، فكيف يمكن أن يكون واحداً من بين الكل، أو يكون من خاصة أولئك الذين يشتركون فيه؟ لأن أولئك الذين يقولون هذا يلزم أن يقولوا إن الابن الذي به وجدت كل الأشياء هو واحد من بين كل هذه الأشياء " . المرجع السابق: الرسالة الأولى: 23.

نؤكد أنه لا يليق بالله أن يقول للملائكة أو لأى من الكائنات العاقلة "هلم نازل ونبلبل ألسنتهم". وهكذا تدخل الثالوث بنفسه في هذا الأمر، لأن شأن تغيير طبيعة اللغة من لغة سهلة موحدة إلى لغات عديدة متنوعة وغير معروفة فيما بينها هو من خصائص طبيعة عمل الثالوث وحده. ولكي نفهم أن هذا الأمر ليس من اختصاص الملائكة لكن من خصائص الإله وحده فلا بد أن نلاحظ أنه قال "هلم" موجهاً الحديث نحو الثالوث القدس أى نحو الثالوث ذى الجوهر الواحد.

إرميا: بالفعل.

كيرلس: وإن كانوا يظنون أن طبيعة الإنسان بصفة عامة تتشكل حسب الله؟ فلنسألهم صورة من تلك التي خلقَ عليها الإنسان؟

إرميا: ما رأيك لو أنهم قالوا إن صورة الله الآب هى التي خلقَ عليها الإنسان؟

كيرلس: لو قالوا إن صورة الله الآب فقط كان تفكيرهم تفكير أحمق.

إرميا: كيف؟

كيرلس: أولاً: تعبيراً "لنعمل" وأيضاً "على صورتنا" يدلان على أن المتكلم ليس شخص واحد بل أكثر من واحد وأكثر من اثنين، وبخلاف هذا نفكر فيما يلى. الصورة التي تشوهت وفقدت جمالها الأول ألا يجب أن تعود مرة أخرى إلى ما كانت عليه أولاً وبعدما يتم إصلاح ما أصاب الصورة في بعدها عن الأصل، وهكذا تستعيد هيئة طبيعتها غير المشوهة مرة أخرى.

إرميا: ماذا تقصد بهذا؟

كيرلس: استمع لى جيداً وسأشرح لك هذا على قدر استطاعتي. لو أن أحداً

من الصنّاع، وعلى سبيل المثال أحد هؤلاء الذين يعملون في تشكيل النحاس، قد صنع تمثالاً معطياً إياه شكله وملامحه، ثم سقط هذا التمثال من على قاعدته بفعل أحد الحاسدين وتحطّم وفقد جماله، ولو أن صانع التمثال . لأنه لم يحتمل أن يرى تمثاله محطماً . أراد أن يقتل ذلك الحاسد الذي حطّم التمثال، نجده وقد أعاد صنع التمثال مستخدماً ناراً أشد قوة معيداً إياه إلى حالته الأولى بعد أن يكون قد رفع عنه ما أصابه من أضرار . وهل كنت تعتقد أنه كان من الصواب لو أن الصانع قد ترك صنعته كي تتشكّل بشكل آخر غير الأول، وفي هذا تتضح عدم قدرته؟

إرميا: لا أعتقد طبعاً.

كيرلس: وهل معنى أنه أعطاه ملمحه الأول أنه أعاد تشكيله بالفعل وأنه طبع صورته فيه؟

إرميا: بالطبع.

كيرلس: طالما أن الأمر هكذا، فما هو الأمر الذي تُصدق أن يكون الله الآب قد فعله، إن كان الإنسان قد خُلِق " على صورته كشبهه " هو وحده فقط. لأن هذا الكلام تقريباً هو ما يقوله المخالفون. أى عندما أراد أن يعيد خلقه الإنسان الذي انزلق وتشوّه، ويجدّه لم يعط له ملمحه الذي كان عليه في الأصل، أى لم يصيّرهُ شبيهاً بنفسه بل أعطاه شكلاً آخر؟ وهذا سيحدث بالطبع لو أن الابن الذي أُعيدت خلقتنا على صورته كان مختلفاً في الطبيعة عنه (عن الآب). لأن بولس الحكيم يكتب للبعث ما يلي " يا أولادى الذين اتمنض بكم أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم"¹. وفي موضع آخر يقول "

¹ غلا 4:19.

لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه"¹. لأن المسيح قد شكّلنا مرةً ثانيةً بالروح القدس حسب صورته واهباً جمال طبيعته لنفوس الأتقياء وبطريقة عقلية وغير موصوفة. بمعنى أننا . كما أعتمد . نتشكّل لا لنصير كالله الحقيقي، لكننا نأخذ شكل يتناسب وطبيعتنا المخلوقة. وإلاّ فإن ما ذكره المزمور منذ القديم بأنه " يتجّد كالنسر شبّابك"²، كان سيضيع هباء، ويظهر أنه بدون هدف. لأن التجديد بحسب الكتاب ليس هو شئ آخر سوى أنه تجديد نفوسنا التي لم ترتفع إلى أعلى إطلاقاً والتي لم ترجع لما كانت عليه أولاً، ولكنها صارت في وضع أقل كرامة مما كانت عليه قبلاً وهى هكذا تعاني من هذه الحالة. وقد يقال³ إن عملية الخلق الأول للإنسان هي أفضل بدرجة لا تقارن بعملية تجديد الإنسان بواسطة المسيح إذ أن الأولى قد أعطتنا إمكانية أن يكون لنا ملمح الإله الحقيقي في داخلنا بينما التجديد الذي تم بالمسيح قد أعاد تجديدنا لكن ليس على هذا الملمح، فقد أعاد تشكيلنا على صورة الابن⁴، ولذلك، ماذا سنربح من تجديدنا بواسطة المسيح طالما . وحسبما يظهر . أننا قد خسرنّا كوننا على شبه الله، وبصفة عامة نترك عنا مجد طبيعتنا طالما أن حالة الغبطة . بالنسبة لنا . كانت في أن نصبح مشابهين الله؟ غير أنى أوّمن بأن كل هذا الفكر هو كالأساطير يستوجب الضحك إذ هو مثل قصص الأطفال. لأننا تشكّلنا من جديد حسب

¹ رو8:29.

² مز103:5.

³ من جانب الذين يقلّون من شأن الابن وعمله الإلهي. (المترجم)

⁴ لأن الابن . في نظرهم . ليس مساوياً للآب في الجوهر . (المترجم)

الصورة الأولى إذ ختمنا بختم الابن¹، كى نصبح مثله، لأنه هو صورة الآب وختمه وليس هو آخر بجانب الآب وذلك بسبب الجوهر الواحد. إرميا: لقد تحدثت بدقة شديدة.

هل الابن أقل من الآب المشرّع؟

كيرلس: انظر مقدار حماقة التي يمكن أن يصل إليها حديثهم عندما يتهمون أولئك الذين يخالفونهم في الإيمان. لأنه لو كان الإله الحقيقي هو الآب وحده. وهذا كلام لا معنى له. فإنني أعتقد أننا سنكون مجبرين على أن نستبعد الابن عن أن يكون إلهًا حقيقيًا.

إرميا: هذا كان سيحدث بالضرورة.

كيرلس: إذ سيكون الابن (حسب قولهم) في وضع أقل من وضع الآب. لأن الذي يعلو فوق الجميع هو الإله الحقيقي حسب الطبيعة.

إرميا: بالفعل سيكون هكذا لأن هذا ما يقود إليه كلامهم.

كيرلس: إحذر إذًا من الخطر يا إرميا، لأنه . حسب أفكارهم المضادة للمنطق . إذا كان الابن هو أقل من الآب، فإذا فكرنا بدون تردد فيما قاله

¹ يكل ق. أنثاسيوس على ألوهية الروح القدس بما يفعله في المؤمنين ويستشهد بالآية " الذي فيه أيضًا إذا آمنتم ختمتم " (أف1:13) وأيضًا " لا تحزنوا روح الله القدوس الذي به ختمتم ليوم الفداء " (أف4:30) ويقول إن: " المخلوقات تُمسح وتُختَم فيه فلا يكون الروح مخلوقًا، لأن الذي يُمسح ليس مثل الذين يُمسحون ". ويسبب أن الابن أيضًا هو إله وواحد مع الروح القدس في الجوهر، فإن ق. أنثاسيوس يقول: " لأن المسحة أيضًا هي مسحة الابن حتى أن الذي عنده الروح يقول (نحن رائحة المسيح الذكية) ونتيجة لهذا فإن " الختم يُعطى بصمة الابن حتى أن المختوم يكون صورة الابن ". المرجع السابق. الرسالة الثالثة: 3 ومن الجدير بالذكر أن ق. كيرلس استخدم في هذا السياق الآية: " يا أولادى الذين أتمخض بكم أيضًا إلى أن يتصور المسيح فيكم " (غلا4:19) وهي نفس الآية التي سبق وأن إستند عليها ق. أنثاسيوس لتوضيح تعليمه العقيدى هذا في تلك الرسالة.

القديسون (عن معرفة المسيح)، فإن هذا يمكن أن يجعل الابن في مرتبة أعلى وأفضل من الآب نفسه.

إرميا: بالطبع هذا أمر لا شك فيه بالمرة.

كيرلس: اسمع إذًا الآن ما يصرخ به بولس بأنه كان فريسيًا حسب الناموس، وأنه كان يضطهد الكنيسة بكل غيرة، وأنه كان يعيش بلا لوم لكي يُرضى الناموس. فيقول " لكن ما كان لي ربحًا فهذا قد حسبه من أجل المسيح خسارة، بل أنى أحسب كل شيء خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي " ¹.

إرميا: لقد قال هذا بالفعل، لكن ماذا كان يقصد بذلك؟

كيرلس: ألم يشر الناموس عند آبائنا القدماء إلى أن هناك رب وإله واحد؟ إرميا: نعم.

كيرلس: وهؤلاء المعاندون بالطبع يقولون إن هذا الرب والإله هو الآب.

إرميا: هم يقولون ذلك.

كيرلس: ولكن، ماذا يقول ذلك الذي اختير ليكون إناءً مختارًا لأسرار المسيح والذي هو معلّم المسكونة ولماذا يعتقد أن معرفة المسيح لا تقارن بكل تعاليم الناموس القديم وكيف يصفها بأنها أفضل جدًّا، وكيف يرى أن ما يقوله الناموس هو بغير نفع بينما ينبهر ويتعجب أمام مسألة الخلاص التي يقدمها الإنجيل؟ وألا يجبرنا هذا على الإستنتاج بأن (المسيح) الذي هو موضوع المعرفة الأفضل لا يمكن إلا أن يكون . بالتبعية . أفضل (من ذلك) الذي علّم عنه الناموس؟

¹ فيلبي 3: 8.

إرميا: نعم.

كيرلس: وعندئذ كيف يصل عقلنا إلى ذلك الحد من الغباء وعدم المعرفة حتى أنه يُقال أو يُعتقد أن الابن أعلى من الآب مع أن الابن أصله ومصدره في ذلك الذي وَلَدَهُ؟¹ لأنه بهذا القول نهين كل من الآب والابن لأن الضرورة تحتم أن نقيّم النبات مع الثمار والأصل مع الفرع والنبع مع الماء الذي ينبع منه وليس غريباً عنه وأيضاً نقيّم مصدر النور مع الشعاع الصادر عنه والذي يستمد ضياءه منه.

إرميا: بالطبع إن قلنا هذا سنُهين كليهما معاً وهل يمكن أن يكون ما نفعله هو غير ذلك؟

كيرلس: وفي هذه الحالة هل سيكون من الضروري أن نتخلى عن أى حديث عن الوحدة حسب الطبيعة بين الآب والابن وعن الكلام الذي يثبت أن الابن إله حقيقي بالطبيعة؟

إرميا: بالطبع سنكون مضطّرين لعمل هذا. لكن قل لي كيف تكون معرفة المسيح هي أفضل من تعاليم الناموس مع أن المسيح له طبيعة الآب الإله الحقيقي وقد تنبأ عنه العهد القديم؟

كيرلس: إن معرفة المسيح هي أسمى من المعرفة عن الله كما جاءت في العهد القديم بل وتفوقها، وتميّزها واضح. بل هي أوسع وأشمل مما جاء في الناموس، حتى أن موسى مُعَلِّم الناموس كان يطلب بإلحاح أن يعرف الله

¹ يقول ق. كيرلس في موضع آخر: " المصدر الذي لا يوجد قبله شئ هو الآب والذي وُلِدَ من هذا المصدر بالطبيعة ندعوه الابن ". حوار حول التالوث. المرجع السابق ص63. وسبق أن علّم ق. أنثاسيوس عن علاقة الابن بالآب بقوله " فالابن يجب أن يُعترف به أنه ليس من خارج أبيه بل هو الذي ولده ". ضد الآريوسيين. المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية، المقالة الثانية. فصل 14.

(الكائن) بشكل دقيق وواضح¹، وقال للرب مخلص الجميع اظهر نفسك لي بشكل ملموس كي أراك²، فأمره الرب أن يحفر في صخرة ومن داخل هذه النفرة، يمكنه إن أراد، أن يراه³. وأعتقد أن الرب قد أراد بهذا أن يبين وبطريقة غير مباشرة أن الناموس يستطيع أن يكشف عن جزء بسيط من معرفة الله لأولئك الذين يريدون أن يعرفوا، ويرسل . كما من ثقب . شعاع معرفته البسيط لأنه أراد لشعب الله أن يؤمنوا فقط بإله واحد لكي يبعدهم عن الضلالات. غير أن الله لم يُظهر لموسى بوضوح ماهية طبيعته غير الموصوفة، وذلك على عكس ما فعل المخلص في كرازته، أعنى المسيح في كرازته. بمعنى أنه لأننا قد عَرَفْنَا الابن فنحن نؤمن أنه صَدَرَ من أصل الآب وأن مجد الابن وهو يُظهر . كصورة مرسومة . طبيعة الآب⁴، قد أعد أعيننا لنرى أموراً أعلى مما يفكر فيه الذهن أو يقدر الكلام أن يعبر عنه. ولهذا نسمع المسيح يقول لله أبيه "أنا أظهرت اسمك للناس"⁵. كما أنه قال لليهود "لستم تعرفوني أنا ولا أبي. لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً"⁶. ولو أننا نعرف أن

¹ انظر خر3:13.

² انظر خر33.

³ انظر خر33:23.

⁴ عن أن الابن قد أظهر طبيعة الآب كصورة مرسومة يقول ق. كيرلس في موضع آخر: "لأننا نحتاج أولاً أن نتعلم بقدر الإمكان ماذا يكون الابن بالطبيعة وهكذا فمن الصورة والرسم الدقيق جداً = ندرِك الأصل جيداً. لأن الآب يرى في الابن وهو يظهر بصورة كاملة في طبيعة ولبده الذاتي كما في مرآة ... لأنه يلزم لرسم جوهره أن يكون مماثلاً له من كل جهة وبكل طريقة، لئلا يُفترض أن شيئاً آخر مغايراً لما يكونه الآب (أي مغاير لجوهر الآب) يشع في الابن بصورة كاملة". شرح إنجيل يوحنا 4، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية، القاهرة سنة 2000، ص35.

⁵ يو6:17.

⁶ يو8:19. عندما شرح ق. كيرلس هذه الآية في كتابه "شرح إنجيل يوحنا" ركّز على وحدة الجوهر بين الآب والابن واضعاً في إعتباره التعاليم الأريوسية التي أنكرت ألوهية الابن المتجسد ولهذا نجد أنه يذكر

كائنًا ما من الكائنات هو فقط موجود بدون أن نعرف ماهيته، فإنني أعتقد أن أى شخص يمكنه أن يقول إن هذا الأمر هو أقل من معرفة شئ عن وجود كائن ما وأيضًا عن ماهيته. ولهذا فإنه بعد الكرازة بالإنجيل توقف سريان تعاليم الناموس التي كانت تعلّم القدماء أن الله هو واحد، فقط بدون أن نتحدث عن الطبيعة الإلهية . الثلاثة أقانيم أو عن وحدة الجوهر لأن هذه التعاليم هي التي تحدّث عنها العهد الجديد. لأننا إن لم نؤمن أن الابن واحد مع الآب في الجوهر سيكون هناك تخطب ومناهة¹، ولن يكون للإيمان المعبر

صفة من ينادى بهذه التعاليم داعيًا إياه بـ " الآريوسى محارب الله " ويوضح ق. كيرلس أنه بسبب هذه الوحدة الجوهرية للآب والابن تصير معرفة وإدراك كل منهما عن طريق الآخر فيقول: " لأنه حيث إننا نعرف الابن فإننا بواسطته نعرف ذاك الذي ولّده، لأنه من خلال كل واحد منهما نصل إلى إدراك الآخر: فحينما يُذكر الآب يأتي ذكر وليده بالتأكيد معه. وأيضًا مع معنى لفظ الابن يأتي اسم ذاك الذي ولّده. ولذلك فالابن هو باب وطريق يقود إلى معرفة الآب ". شرح إنجيل يوحنا ج4، إصدار المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية، القاهرة سنة 2000، ص35. ولم يكف ق. كيرلس بتوضيح هذه العلاقة الجوهرية بين الآب والابن، بل أنه جعل هذه العلاقة هي الأساس الضروري لإدراك الثالث (هذا التوجه نلاحظه هنا أيضًا في حوارهِ حول هذه النقطة) فيقول: " كيف لا يلزم بالضرورة الآن أن نعترف أن الابن هو مثل الآب من كل جهة لكى بواسطته نعرف أيضًا ذلك الذي ولّده كما قلنا قبلًا، صاعدين من الصورة إلى الأصل ويصير ممكنًا لنا أيضًا أن ندرك الثالث القدوس إدراكًا صحيحًا وبلا لوم ". المرجع السابق ص36.

¹ كان القديس أنثاسيوس سابق للقديس كيرلس في دفاعه عن ألوهية الابن، وتوضيح أن معرفة الله تأتي فقط من خلال الإيمان بالمسيح، لهذا كان يركّز في تعاليمه على عقيدة تجسد ابن الله والفداء الذي قّمه للبشرية وهذا يستلزم الإيمان السليم بألوهية السيد المسيح وإنسانيته معًا، وذلك في مقابل الفكر الآريوسى الخاطئ الذي كان يحاول أن يلغي حقيقة الفداء وأهميته، فلو لم يكن السيد المسيح هو الله بالحقيقة . كما أن الآب هو الله بالحقيقة (بسبب وحدتهما في الجوهر $\text{N}\mu\text{o}\text{o}\text{U}\text{s}\text{i}\text{o}\text{z}$) . لما كان في الإمكان أن يفدى البشرية من الموت والفساد. ولو لم يكن الابن هو الإله الذي تجسد، لما كان ممكنًا أن يشركنا في طبيعته الإلهية. انظر: كتاب تجسد الكلمة. ترجمه عن اليونانية د. جوزيف موريس فلنس. المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية، الطبعة الثالثة 2004 المقدمة ص15.14.

عنه في الكتب . كما أعتقد . ما يسنده ويؤكد.

إرميا: كيف وبأى طريقة؟

كيرلس: إن الكتاب المقدس يصّرح بأن الله واحد وهو إله حق بطبيعته ولهذا فإن الابن لن يكون له المجد والكرامة الإلهيين إن لم يكن له كل ما للآب نفسه بغير تغيير. أم لعلك لم تسمع الآباء القديسين وهم يصرخون لله قائلين، مرة " واحد هو واضع الناموس " ¹. ومرة أخرى " الذي وحده له عدم الموت " ². ومن يا ترى هو الذي يجب أن نعتقد أنه الواحد الديان الذي وضع الناموس والذي وحده له عدم الموت؟

إرميا: بالتأكيد هو الآب. حسب ما يقول المعارضون لأنى أعتقد أنهم لا يفهمون أن هذا الكلام يُقصد به شخص آخر سوى الآب.

كيرلس: وأنا أيضاً أعرف أنهم يفهمون أن هذا الكلام هو عن الآب وأن هدفهم غير برئ، وهل يجب إذاً أن نؤمن أن الابن أقل من واضع الناموس والديان وأنه غير أبدى؟ وأن الحياة التي فيه قد حصل عليها من خارجه؟ وماذا سنحصّد من هذا الفكر غير أن الابن سيكون خاضعاً بغير إرادته للناموس والدينونة وأنه بذلك يُحصى مع الذين هم بطبيعتهم مائتين؟ وفضلاً عن ذلك كيف لا يمكن اعتبار البشارة الإلهية . أى الإنجيل . هى كذب وبهتان طالما أنها تعتمد على شهادة الابن كى تثبّت حقيقتها؟ لأن الابن قال في الإنجيل " أنا هو الحياة " ³ بينما هو . حسب اعتقادهم . ليس عديم الموت

¹ يع 4:12.

² 1 تي 6:16.

³ يو 6:14.

لأن الآب فقط هو الذي لا يموت. إنى أعتقد أنك لن تحتاج لمجهود كبير كي تفهم أنه (أى الابن) هو الديان وأنه واضح الناموس أم أنك لم تسمعه وهو يقول في موضع آخر "قد سمعتم إنه قيل للقضاء لا تنزن وأما أنا فأقول لكم إن من ينظر إلى امرأة ليشتتها فقد زنى بها في قلبه"¹. وفي موضع آخر أيضًا يقول "لأن الآب لا يدين أحد بل قد أعطى كل الدينونة للابن"².

إرميا: لقد سمعت ذلك، لكن دعنى أسألك، هل تريد أن تستكمل الحديث ونردُّ على هذه المغالطات أم أننا سنترك المعارضين بدون أن نسوق لهم الأمثلة؟

كيرلس: لنستمر في الحديث بكل ثقة لأن الموضوع جدير بالمناقشة ويحفِّز الذهن للرد على كل أفكار المعارضين.

إرميا: فلنتحدث إذاً بوضوح أكثر عن الآب والابن كل على حدة. كيرلس: قل ما شئت إذاً، ولن أعتبر ما تقوله هو تعبير عن إيمانك بل هو يمثل آراء المخالفين.

إرميا: إن واضح الناموس والديان هو فقط الله الآب. لأنه يليق بالطبيعة الملوكية التي تفوق الكل أن تُشرَّع وأن تدين. ولقد وصل الابن بالتأكيد إلى هذا الحد من المجد وذلك بتفضُّل الله الآب.

¹ مت 27:5.

² يو 22:5. ظن المعارضون أن هذه الآية تدل على أن الابن أقل من واضح الناموس والديان وأنه غير أبدى منكبين بذلك ألوهيته. ويعطى ق. كيرلس المعنى الحقيقي لهذه الآية بقوله: [وها هو المسيح يقول "إن الآب قد أعطى كل الدينونة للابن" ليس كأن الابن كان بلا سلطان حتى الآن، بل تدبيرياً كإنسان، معلماً أنه من المناسب أكثر أن تُنسب كل الأشياء إلى الطبيعة الإلهية إذ هو أيضاً ليس خارجاً عن الآب لأنه هو الكلمة وهو الله الذي له السلطان في ذاته على الكل]. شرح إنجيل يوحنا، المركز الأرثوذكسى للدراسات الأبائية، القاهرة 1995، ج 2 ص 106.

كيرلس: وهل يكون غير واضح لأى واحد بين الذين يفكرون بطريقة سليمة أن كل ما ستقوله سيكون بدون فائدة ومعنى، إن لم تثبت أن ما قلته ينفق مع ما جاء في أقوال القديسين، لأننا لن نتبع أولئك الذين يريدون دائماً أن ينادوا بأفكارهم فقط، بل أننا سنتابع أولئك الذين يتكلمون بفم الرب¹. ووفقاً للمكتوب (في الكتاب المقدس)².

إرميا: حسناً قلت، لأن الطوباوى داود (وهو يطلب من الله الآب من أجل دعوة الأمم) رثّل قائلاً: "قم يا رب. لا يعتز الإنسان. لتحاكم الأمم قدامك... ليعلم الأمم أنهم بشر"³. بينما الابن نفسه يشير بكل وضوح إلى أن هذا الأمر قد تحقق بواسطته (بصفته رب وملك) كما جاء بالمزمور "أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون جبل قدسى. إنى أخبر من جهة قضاء الرب"⁴. غير أن ذلك الذي يُعطى له السلطان أن يدين ويحكم، كهبة من آخر، ألا يكون سلطانه هذا هو سلطان خارج عنه وليس من طبيعته؟

كيرلس: لقد صرخ أحدهم . عن حق . في أولئك المنحرفين . قائلاً: " اصحوا أيها السكارى، يا جميع شاربي الخمر "⁵. لأن الابن إذ هو صورة الآب ومساوٍ له في كل شئ، قد شاء بإرادته أن يتضع، فتنازل واتخذ شكلنا وصار إنساناً، وهكذا يُعطى له السلطان أن يملك وأن يحكم ويُشرع. ولأنه صار فقيراً مثلنا بحسب التدبير واتخذ شكل العبد، وهكذا قبل أن يكون له

¹ إر 23: 16.

² انظر هامش 2 ص 7.

³ مز 9: 20.

⁴ مز 2: 6.

⁵ يوثيل 1: 5.

بالعطية ما كان له بالطبيعة، ولهذا نجد طريقة كلامه وأفعاله تتناسب مع هذا الإخلاء¹. وإنى أعتقد أنه لن يصيب أى واحد ممن يؤمن به أى ضرار لو أنه فحص عن الوقت² الذي أشارت إليه الآيات السابقة. بمعنى، متى مَلَكَ المسيح على الأمم، ومتى جاء إلى جبل صهيون (لِيُمسح مَلَكًا)؟ هل يمكن أن يكون هذا قد تم قبل أن يصير إنسانًا؟ مع أنه من الممكن للمرء أن يرى بوضوح في النصوص الموسوية أن الابن لم يقم في أى وقت آخر ليُخبر بقضاء الرب للإسرائيليين إلا عندما لبس ثوب فقرنا، وأن رب الأنبياء قد دُعى نبيًا، ومَن هو كائن في حضن أبيه قد حُسب بين البشر، لأن الله كان قد أخبر موسى عن هذا الأمر بقوله "أُقيم لهم نبيًا من وسط أخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به"³. إذًا يا صديقي هل كان من الممكن أن يكون الكلمة أختًا للإسرائيليين وأن يُحسب من بين البشر قبل أن يصير جسدًا ويتحد بالطبيعة البشرية بهذه الطريقة التي تفوق إدراك العقل والتي تعلق على الوصف؟ أم أنك تذكر أمرًا أكثر إقناعًا وهو أنه مُسح أختًا وصار مثل موسى مؤدبنا بالناموس⁴، وعند الحاجة أخذ يُسرّع ثم بطريقة

¹ لم يفسر الهراطقة كلام وأفعال المسيح له المجد على أنها تتناسب مع الاخلاء ولهذا فقد نادوا بتعاليم أنكرت ألوهيته.

² يشدد الآباء ومنهم ق. أثناسيوس أيضًا على أهمية البحث عن الشخص الذي تتكلم عنه الآية وزمان كتابتها والموضوع العام الذي يكتب من أجله الكاتب. انظر المقالة الأولى ضد الآريوسيين، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، فقرة 54. ولقد اتبع ق. كيرلس نفس هذا المنهج الآبائي في تفسير النصوص لهذا يعلق على الآية "فإن كان يسوع قد تعب من السفر وجلس (يو 4:6) بقوله: "إن التمييز بين النصوص أمر هام جدًا لنا لأن هذا يقودنا إلى تمييز الأزمنة والأوقات". حوار حول التالوث. المرجع السابق ص30.

³ تث 18:18.

⁴ غلا 24:3.

معينة صارت له خدمة¹، ومتى حدث كل هذا؟ أليس عندما أدخل ذاته من مجد طبيعته، أى في ملء الزمان وعندما مارس سلطانه الكامل بكل اتضاع. إرميا: أعلم أنك تتكلم بطريقة جيدة جدًا وأنا أتفق معك تمامًا.

كيرلس: بالتالى فلو أنهم فحصوا كل الأمور بحسب زمان حدوثها، فلن ينزلقوا. على ما أعتقد. إلى هذه الانحرافات أو تلك الأفكار الملتوية، بل سيكونون قادرين في النهاية على الفهم الصحيح لكلام الحق. وبالإضافة إلى ما سبق أن قلته فإننى أقول الآتى: لو أن أحدهم تصور أنه أمر غير ذى شأن وغير ضرورى وبلا معنى أن يبحث المرء عن الوقت المناسب لكل حدث ورد ذكره بالكتاب الموحى به، فهل سيكون هناك مانع من أن نقول إن الابن الوحيد وكلمة الله قبل أن يأتى إلينا قد مات بالصليب وقبل أن يتخذ جسدًا قد عامله اليهود مثل السكارى. وأنهم قالوا وفعلوا كل هذه الأفعال التي تليق بهم وحدهم وذلك عندما ذكر عن المسيح وكأنه قد عانى ذلك بالفعل: "بذلت ظهري للضاربين وخذى للناتقين، وجهى لم أستر عن العار والبصق"²؛ إذاً أليس هو فكر مجنون يستحق الاستهزاء أن يُعتقد أن الابن قد عانى هذه الآلام في الزمن الذي لا يناسبها، أى قبل أن يتخذ جسدًا؟

إرميا: صحيح.

¹ في سياق تفسيره لمعجزة شفاء الأبرص وقول المسيح له بأن لا يقول لأحد بل يمضى ليرى نفسه للكهان ويقدم عن تطهيره كما أمر موسى، يقول ق. كيرلس إنه من خلال هذه المعجزة "يمكننا أن نرى بوضوح تام أن المسيح يفوق ناموس موسى بما لا يقارن" وأن هذه الخدمة تثبت أنه إله. انظر: تفسير إنجيل لوقا للقديس كيرلس، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد. إصدار مركز دراسات الآباء سنة 1990،

ج 1 ص 116.

² إش 50: 6.

كيرلس: لكن لنترك الحديث عن هذا الأمر ولنحدث عن أمر آخر لو رغبت.

إرميا: وما هو؟

كيرلس: لنستمر في البحث عن الحقيقة والمعرفة الدقيقة ولنفحص . حسب ما يقولون . إن كان حدث مَسَّحِه ملكًا ومشرعًا هو الذي سيحدّد كينونة الابن حسب الجوهر أم أن هذا هو مجرد صفة له؟

إرميا: إنني لا أعتقد أنهم سيقولون إن تحديد جوهر الابن يتوقف على حدث مَسَّحِه ملكًا ومشرعًا من عدمه. لأنهم في هذيانهم غير المحدود لن يصلوا إلى هذا المستوى من الحماقة بأن يجرؤوا على القول بأن مَسَّحِه ملكًا ومشرعًا هو الذي يحدد جوهر الابن. غير أنه ربما سيقولون: إن الحدث في حد ذاته هو الذي يحكم عليه، فالابن . كما يقولون . لم يكن ليُقبل من آخر ما كان له بالطبيعة¹.

كيرلس: ولكم أيها الخبثاء!! سنقول أيضًا أن تفكيركم هذا غير منطقي وغير معقول بل ليس لديكم مهارة في صياغة الأمور العقائدية، ومن السهل أن تتحرفوا وتضلوا، ذلك لأنكم قد نسيتم أنه يجب فهم أحداث الكتاب المقدس حسب الأزمنة² التي تتناسبها كما أنكم عندما تتحدثون عن الابن الوحيد في زمن تجسده قد نسيتم أيضًا أنه لا يجب أن ننسب إليه ما لا يليق بالله. ولأنها ليست هي المرة الأولى التي تفكرون فيها بطرق ملتوية وغير مستقيمة، فإنكم تقولون إن صيرورته ملكًا ليست خاصية ذاتية للابن، لكنها مجرد حدث. غير

¹ بمعنى أنه لم يكن ملكًا بالطبيعة وبالتالي إحتاج أن يُمسح ملكًا من آخر. (المترجم)

² انظر هامش رقم 4 ص 39.

أننا نقول ما الذي يمنعنا من أن نؤمن ونعترف أنه فيما كان الابن بحسب جوهره ملكًا ومشرعًا¹، فإن الله الآب أراد أن يُظهر للبشر مَنْ هو كائن بالفعل. وبالقِطْع أنا لا أعنى أنه بدأ في أن يملك لكنه قَبِلَ أن يُشرِّع لأولئك البشر وأن يضمهم لمملكته بعد أن كانوا قد خرجوا عن طاعته وصاروا تابعين لضلالات تعدد الآلهة. وأعتقد أنه من غير اللائق بالمرة، أن يقول بعض الذين يزعمون بأنهم حكماء، إن كلمة الآب قد دُعِيَ منذ البداية وبرضاء الذي وَلَدَه . كى يُشرِّع ومع ذلك لا يؤمنون أن الابن بحسب الطبيعة هو مُشرِّع وأنه هو الله. فلو كان هناك منزل صغير مُعتم ومليء بالضباب الكثيف لم يدخله نور أشعة الشمس لفترة ما لأن أحدًا لم يسمح بذلك وبعد مرور هذه الفترة دخل النور مباشرةً وطرد الظلام وأضاء المكان بنور غير عادى بالنسبة لمثل هذا المكان²، ولو كان لهذا النور لسان لحكى لمن يتعجبون مما حدث وقال إنه قد جاء . من الشمس التى وَلَدَتْه³ . كى يدخل

¹ يذكر ق. كيرلس نفس هذه الحقيقة في إطار شرحه لما جاء في سفر العدد. انظر أيضًا شرحه لما جاء في إنجيل لوقا 24:21 عن ختان المسيح حيث يقول: "حينما كان الابن حاضراً بيننا، فرغم أنه هو بالطبيعة الله ورب الكل فإنه لا يحتقر حالتنا بسبب ذلك، بل يُخضع نفسه معنا لنفس مُشرِّع الناموس، رغم أنه كإله كان هو نفسه مُشرِّع الناموس". تفسير إنجيل لوقا، إصدار مركز دراسات الآباء، مايو 1990، ج 1 ص 42.

² في موضع آخر يشرح ق. كيرلس بالتفصيل أن الخليقة قد إستتارت بالابن وذلك في إطار شرحه للآية " والحياة كانت نور الناس، والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه " (يو 1:54)، وفي شرحه هذا يشدد أيضًا . كما يفعل هنا . على وحدة الجوهر بين الآب والابن ويورد أحد عشر برهانًا ودليلاً على هذه الحقيقة وعلى أن طبيعة الابن ليست كطبيعة المخلوقات. انظر شرح إنجيل يوحنا للقديس كيرلس، إصدار مركز دراسات الآباء. يناير 1989، ج 1 ص 8773.

³ سبق القديس أثناسيوس واستخدم تشبيه النور وأشعته التي تضيء كل المكان ليثبت أن الابن غير مخلوق بل أن الآب قد خلق كل شيء به. انظر المقالة الثانية ضد الأريوسيين الفصل 31:18، الطبيعة الثالثة، إصدار المركز الأرثوذكسى للدراسات الأبائية 2004.

إلى ذلك المكان كى يفرّج بفرح دائم مَنْ كانوا تحت سيادة الظلام، فبعد كل ذلك هل يقبل أحد أن يكون هذا "النور" قد استمد طبيعة النور لأول مرة حين دخل في هذا المنزل الصغير لأول مرة؟

إرميا: بالطبع لا، لأنه هو نور على الدوام¹.

كيرلس: لماذا إذًا يتصور هؤلاء أن كون الآب قد أقام الابن ملكًا ومشرّعًا، يمثل عائقًا منيعًا أمامنا مع أن الابن (في بداية كرازته) كان قد مارس عمله كمشرّع وحتى في الحالات القليلة التي أتم فيها عمله هذا كان يُظهر مجد طبيعته (الإلهية) ويبيّن أنه ينبغي على كل الأمم أن تخضع لنواميسه . وكان هذا يتم بتأييد من الله الآب . بعد أن كان شعب إسرائيل وحده في القديم هو الذي يخضع للنواميس الإلهية؟

إرميا: لكن لو كانوا يريدون أن يثبتوا بوضوح أن الابن هو مُشرّع، فمتى وبأى طريقة حدث ذلك بالنسبة لنا؟

كيرلس: أعتقد أن ما قلناه أخيرًا فيه الكفاية لمن لديهم عطش للمعرفة. حيث إن الله قد ذكر بشأن الناموس والوصايا المعطاة في القديم أنه من غير المسموح أن يُضاف إليها أو يُحذف منها (لأن الطبيعة الملكية فقط هي التي لها حق التشريع، وهي التي تقدر أن تضيف أو تحذف ما تريد)، أما الابن فقد شرّع، وأظهر أن الوصية القديمة لا تصلح وأعطى وصية جديدة هي الوصية الإنجيلية. ولقد فعل هذا كمشرّع، وليس كمُرسل من السماء بل كمن له سلطان يليق بالله. والقديس بولس يؤكد على ذلك بقوله " صرّث لليهود

¹ يشدّد آباء مجمع نيقية على ألوهية الابن المتجسد وعلى أنه من ذات جوهر الآب وذلك باستخدام تعبير " نور من نور " في نص قانون الإيمان. انظر أيضًا ق. كيرلس، شرح إنجيل يوحنا، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية ج 1 ص 74. انظر أيضًا هامش رقم 2 ص 3.

كيهودي لأريح اليهود وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأريح الذين تحت الناموس وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس مع أني لست بلا ناموس لله. بل تحت ناموس المسيح لأريح الذين بلا ناموس"¹. انتبه إذًا لأنه بينما هو يقول إنه ليس بلا ناموس الله يقول أنه يعيش طبقًا لناموس المسيح وهو في هذا يعطى المجد له لأنه هو الله ولأنه هو المُشَرِّع، ويعترف بألوهيته وبأحقّيته وحده في أن يُشَرِّع. إذًا، وفقًا لكلام القديس بولس طالما أن مَنْ يعيش بحسب ناموس المسيح هو ليس بلا ناموس الله، فما هو السبب الذي يمكن أن يمنع الابن من أن يكون هو المُشَرِّع وهو الله في نفس الوقت؟
إرميا: لا يوجد سبب على ما أعتقد.

كيرلس: يمكن للمرء أن يشير إلى أمر آخر بالإضافة إلى ما سبق.

إرميا: وما هو؟

كيرلس: أعتقد أنه ليس من السهل على أحد أن يثبت أن الله الآب قد شرَّع بالأخص للقدمات الأولين فقط أو لمن بعدهم، بينما يستطيع وبدون مشقة أن يتأكد أنه يُشَرِّع مع الابن وبواسطة الابن. فأين ولَمَنْ كان الآب يُشَرِّع بينما كان الابن صامتًا وغائبًا؟

إرميا: ومع ذلك فإن الحكيم بولس يقول إن "الله كَلَّمَ الآباء بالأنبياء قديمًا"². كما أن موسى أيضًا قال للإسرائيليين مرة "الرب إلهنا كَلَّمنا في حوريب"³.

¹ 1كو 9: 21.

² عب 1: 1.

³ تث 6: 6.

كيرلس: إن ما تقوله هو حسن يا صديقي فالقديسون قد نسبوا دائماً لله الآب ذلك التشريع القديم. لكن هيا لأثبت لك أن الابن يقول إن هذا التشريع هو له. لأنه لم يأت كي ينقض بأى شكل من الأشكال أو يهدم ما قاله الأنبياء لكن كي يكمل أقوال الأنبياء والناموس. لأنه هو بنفسه قال " لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل"¹. وأيضاً " السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول"². هل فهمت الآن أنه بعدما قال إن كل ما في الناموس سيتم حتماً قال إن كلامي سيصير من الآن هو الناموس؟ لكن يمكن للمرء أن يراه وهو يصرخ في موضع آخر على لسان أحد الأنبياء ويقول " لذلك يعرف شعبي اسمي، لذلك في ذلك اليوم يعرفون إنى أنا هو المتكلم"³. لقد تجسدتُ واتخذتُ شكل طبيعتكم وكنت أنا هو من تكلم حينذاك مع أن الله الآب كان هو من شرع ما نطق به الأنبياء. إذا الأمر يستتبع بالضرورة، وهذا أمر غير مشكوك فيه بالمرّة أن من له دائماً مجد المشرّع (واضع الناموس) يجب أن يكون وبطريقة طبيعية هو الديان⁴، وأن يعاقب عقاباً شديداً أولئك الذين يهملون ما تحدد بواسطة الناموس والذين يميلون إلى فعل ما يرون أنه حسن. إرميا: بالتأكيد.

الابن له خصائص طبيعة الذي ولّده:

¹ مت 18:5.

² مت 24:35.

³ إش 6:52.

⁴ أو كما عبّر الآباء في مجمع نيقية . القسطنطينية بقولهم عن الابن بأنه " .. وأيضاً يأتى في مجده ليدين الأحياء والأموات " .

كيرلس: تمامًا كما لو قيل إن واحد هو واضع الناموس¹ وهو الآب وهو الديان أيضًا، فإن هذا ليس معناه بأى شكل من الأشكال أن الابن ليس هو واضع الناموس وهو الديان. لأنه لا يوجد بالمرّة ما يمكن أن يفصل طبيعة الابن عن طبيعة الآب. وبنفس الطريقة على ما أعتقد، حتى إن كان الله الآب هو من له خاصية عدم الموت²، فإن الابن أيضًا له نفس الخاصية في جوهره وهو بالتأكيد عديم الموت بمعنى أن طبيعته غير مائتة ومشرقة ببهاء خصائص طبيعة الذي ولّده، ولهذا فنحن والملائكة نسجد له. أما إن قالوا لنا إن الأمور ليست كذلك وأتوا لنا بكتابات منحولة. رغم أننا نؤمن بما هو مستقيم. فليوضحوا لنا ما يلى.

إرميا: ماذا تقصد؟

كيرلس: أولاً وقبل كل شيء، إن كان من ليست له حياة لأنه لا يملكها في طبيعته، فحينئذٍ ألا يكون بالضرورة مائتًا وستكون الحياة معطاة له من خارج (طبيعته) بواسطة آخر.

إرميا: نعم، لأن من هو ليس عديم الموت يمكن أن يقبل الموت.

كيرلس: وبالإضافة إلى هذا فليقولوا لنا أيضًا ما هو عمل الحياة في أولئك الذين هم في حاجة إلى الحياة؟

إرميا: طبعًا هو إعطائهم الحياة، مثلما أن عمل النور هو الإضاءة بالتأكيد.

كيرلس: بالصواب تتكلم. فلو أن أحدًا قد اعتقد أن الحياة تحتاج إلى أن

¹ يع 4:12.

² انظر 1 تي 6:16.

الال ءلاء (من آءر) أو أن النور لءال أن لسللر ءواسلءة آءر؁ فهل الال أن اعالءاءه هءا سللمؑ

إرملالؑ بالالأكلاء لا؁ لأنه ءهءا الاعالءاء لكون ءء ابالءء عن الالأكلاء السللم لأن الءلاء لا الوءء ءلاء ءواسلءة آءر .

كفرلسؑ إذا عءما لكون الابن الوءاء ءلنا وبلصرء فلنا ءائلاً "أنا هو القلاءة والءلاء"¹ . فهل لءب أن نفالرض أن الءلاء لنقصها عءم الموء أم كلف لكون الأمر ءءلاف ذلكؑ

إرملالؑ كلف لكون ذلكؑ لأن الءلاء لا لنقصها عءم الموء بالالأكلاء . لأن الءلاء فل طبلعلاءا العى عءم الموء .

كفرلسؑ وأنا أقول إنه طالما أن الله الآء هو عءلم الموء (وهءا ما لءبرنا عنه الالاب المقدس)²؁ فكلف لا لكون الابن أبلضاً عءلم الموءؑ ءفر أنى أوئل وبلشكل مطلق بأن أمر الوءءة الءوءراء ءلن الآء والابن لعلل لكل منهما ءقلاءة كونهما عءلمل الموء؁ كما أنه أمر واصل أن الءلاء هل صلاءة ءوءراء وأن عءم الموء للس هو شل صالء لعلل من الءارء بل هو أمر لرجع إلى الطبلعاء . فلو أن المعانءلن ءلأكبرهم المنءرف ءء ظنوا أنه لءب أن لقلوا إن الابن هو ءرلء عن الله الآء وأن له طبلعاء آءرى منفصلاء وأنه للس هو إله ءق مع أنه بالالأكلاء هو ءفر مائل طبلعلاءه أو بالءرى هو الءلاء علنها؁ وبلالالى لا لنسءوا إللها كل الملزال الال نءءش منها نحن والملائكة والال اللىق بالطبلعاء الإلللاء ءفر الموصوءة؁ فهل لمكن . ءسء العللمهم المنءرف . أن الالسب هءه الملزال الال اللىق بالطبلعاء الإلللاء لأءء

¹ يو 11:25 .

² انظر 1اللمو 6:16 .

آخر من بين الخلائق؟

إرميا: وبأى طريقة يقولون ذلك؟

كيرلس: أعتقد أن هؤلاء سيقولون إن سلطة إعطاء الحياة وكونه هو الحياة تليق بمن هو بالفعل والطبيعة إله حق. إذًا طالما أن الآب حسب جوهره هو كذلك، بينما . وفقًا لما يقولون . إن الابن ليس من طبيعة الآب، وأنه يوجد في منزلة أقل من الآب، وحينما يقول الابن إنه هو الحياة ناسبًا لطبيعته الخاصة ما هو من خصائص جوهر الآب، فكيف لا يكون ما قلته بشأنهم هو صحيح؟ لأنه (حسب فكرهم) ما كان من خصائص الطبيعة غير الموصوفة قد انتقل إلى من لم يأت من جوهر الله الآب بل إلى من أتى إلى الوجود مع بقية الخلائق. لأنه بحسب ما نؤمن به، فإننا نعرف أن الله يأتي في المقام الأول ثم بعد ذلك الخليقة كلها ولا يوجد في الوسط بين الله والخليقة أى شئ آخر على الإطلاق. أليس ما أقوله صحيحًا؟

إرميا: صحيح تمامًا.

كيرلس: إذًا فإن كان الابن له جوهر آخر غير جوهر الآب فكيف يمكن أن نفهم أنه يوجد فعل واحد ومماثل لمن هم مختلفين من جهة طريقة وجودهم؟ لأنه يقول "لأنه كما أن الآب يقيم من الأموات ويحيي كذلك الابن أيضًا يحيي من يشاء"¹.

¹ يو 5: 21. وفي شرحه لهذه الآية من إنجيل يوحنا يؤكد ق. كيرلس نفس المعنى بقوله: "أثرون أيضًا أنه في تلك الكلمات برهانًا ساطعًا على معادلته للآب. لأن من يعمل بالمساواة من جهة إقامة الموتى، كيف يمكن أن يكون أقل؟ أو كيف يكون من طبيعة أخرى وغريبًا عن الآب وهو الذي يشع بنفس الخصائص؟ لأن القدرة على الإحياء التي في الآب كما هي في الابن، هي خاصة للجوهر الإلهي، لكن الآب أيضًا لا يحيي بعض الناس منفصلًا عن الابن ومن ذاته أو أن الابن يحيي البعض الآخر منفصلًا ومنعزلًا عن الآب، إذ أن الابن له الآب في ذاته بالطبيعة، والآب يفعل كل شئ ويعمل كل

إرميا: هو يقول ذلك بالتأكيد. والابن بالقطع هو الحياة. غير أنه قال أيضًا " كما أرسلنى الآب الحي وأنا حي بالآب ¹ ". إذا فالحياة التي فيه هي بسبب أبيه ².

شئ بالابن. لكن طالما أن الآب لديه قوة الإحياء في طبيعته ذاتها، هكذا الابن نفسه أيضًا، ينسب قوة إقامة الموتى، وكأنها تخص كلا منهما على حدة ". شرح إنجيل يوحنا، مركز دراسات الآباء، القاهرة 1995، ج2 ص105.

¹ يو6:57. عندما يتعرّض ق. كيرلس لشرح هذه الآية من إنجيل يوحنا فإنه يبدأ بالقول: " معنى هذا النص غامض، تغلفه صعوبة ليست بقليلة، لكنه ليس عسر الفهم تمامًا إذ يمكن إدراكه وفهمه من قِبل أولئك الذي اختاروا أن يفكروا باستقامة ". شرح إنجيل يوحنا، مركز دراسات الآباء، القاهرة 1998م، ج3 ص159. ولهذا فإنه يجتهد لتوضيح المعنى الحقيقي لها وما يحويه من تعاليم عقائدية تثبت ألوهية الابن ومساواته في الجوهر لله الآب. ومن الملاحظ أيضًا أنه إمتد في شرحه لهذه الآية كى يعلم ليس فقط بوحدة الجوهر للآب والابن ضد الفكر الأريوسى، بل أيضًا كى يثبت = عقيدة الثالوث الأقدس الواحد في الجوهر فيقول: " إن الطبيعة الإلهية هى واحدة تُدرك في الآب والابن والروح القدس لا بشكل إنقسامى متعدد يعمل كل منهم بمفرده ما ينبغي أن يتم من أمور لكن ما يقال إنه تم بواسطة واحد منهم هو عمل الطبيعة الإلهية كلها. لأنه لما كان الثالوث القدوس واحدًا فيما يخص وحدانية الجوهر، فإن قوته هى قوة واحدة بالكامل من جهة كل شئ. لأن كل شئ هو من الآب بالابن في الروح ". المرجع السابق ص160. ومن الجدير بالذكر أنه رغم أن موضوع الكتاب الذي ننشره اليوم هو حوار حول الثالوث، إلا أن القديس كيرلس لم يتطرق إلى عقيدة الثالوث، أى وحدة الجوهر الإلهى والثلاثة أقانيم، عندما أشار إلى هذه الآية، بالرغم من أنه في استخدامه لآيات أخرى من إنجيل يوحنا كان قد تعرّض لهذه العقيدة الهامة. انظر على سبيل المثال ص27.

² يضع ق. كيرلس على لسان إرميا كلامًا يعبر أحيانًا عن رأى المعارضين (انظر كيرلس ص37). ومن هذه الآراء أن الابن ليس له حياة في ذاته بل يستمدّها من الآب وبالتالي فهو أقل من الآب، ودليلهم على هذا قول الابن " أنا حي بالآب ". وفي موضع آخر يشير ق. كيرلس صراحة أن هذا ما يفكر فيه المعارض، فيقول: [لكن معارضنا قد يجيب مرة أخرى: وبأية كيفية أخرى يكشف الابن عما يكونه بالطبيعة أو كيف يظهر بوضوح أن الآب أعظم إلا بقوله " أنا حي بالآب؟ " لأنه إن كان الآب هو مُعطي الحياة للابن، فمن ذا الذي يندفع في مثل هذه الحماقة فلا يدرك بالتمام أن من يشترك في الحياة لن يكون بالطبيعة هو نفسه الحياة أو يكون قديرًا على الإحياء؟]. شرح إنجيل يوحنا، مركز دراسات الآباء، القاهرة 1998، ج3 ص160-161.

كيرلس: وبالتالي أيها الجسورون هل يجب أن نقبل أن الابن نفسه قد استمد حياته من الله الآب مع بقية المخلوقات كلها وبالتالي لابد وأن نحسبه مع بقية الكائنات التي تستمد حياتها من آخر كشيء دخيل عليها؟ حينئذٍ يجب أن يُحسب الابن بين أولئك الذين يموتون لأن الشيء الذي يأتي من خارج (الإنسان) يمكن أن يُفقد، وما يريد الإنسان أن يحتفظ به، سيكون معرضاً للفقدان، إن لم يرتبط بقوانين طبيعية تجعل احتفاظه بهذا الأمر ثابتاً.

إرميا: فكيف إذاً يمكن أن يفكر المرء بأن الابن هو الحياة بسبب الآب بالرغم من أن الابن نفسه بحسب الطبيعة هو الحياة؟
كيرلس: كونه هو الحياة¹ هو بالتأكيد دليل على أصالة صدره من الله الآب وبرهان واضح على حقيقة طبيعته (الإلهية).

إرميا: ماذا تقصد بهذا؟

كيرلس: أقصد أنه لم يقل إنه أعطى الحياة من الآب بل قال إنه حي بالآب.

إرميا: وماذا يعنى هذا إذاً؟

كيرلس: أعتقد أنه يليق لمن له طبيعة ليس فيها حياة وليس لها عدم الموت بل هو يستمد حياته من آخر، أن يقول "إن أبى أعطانى الحياة". بينما يليق بمن يعرف أنه هو الحياة وأنه قد صدر من الحياة، أن يقول وبطريقة تناسبه كإله "أنا حي بالآب". فلو أن كائناً عاقلاً قد وُلد من كائن عاقل هو أبوه

¹ في فصل كامل من كتابه "شرح إنجيل يوحنا" يشدد ق. كيرلس على أن الآية "فيه كانت الحياة" يو:1:4 تعنى أن الابن هو بالطبيعة الحياة ولذلك هو غير مخلوق وأنه من نفس جوهر الآب وبدللاً ببراهين تسعة على ألوهية الابن إذ هو واهب الحياة. انظر ج 1 إصدار مركز دراسات الآباء. القاهرة 1989، فصل 6 ص 72.67.

وقال إنى عاقل بأبى. أو بطريقة أخرى لو أن الحرارة التي تشع من النار¹ لها صوت وقالت إنى أدفى بالنار التي منها قد انبعثت²، فهل من الممكن ألاّ يظن من له عقل أنهما (أى الكائن العاقل والحرارة) يقصدان بالحرى خصائص كل منهما التي منها كينونتتهما وليس خصائص دخيلة عليهما من الخارج كهبات؟!!

إرميا: بلى، سوف يظن كذلك.

كيرلس: وبالتالي فإن الابن حيّ بالآب لأنه هو الحياة التي هي من حياة الآب³، ولأنه بالفعل إلهاً حقاً تماماً مثل من ولده. وكلامى الذي أقوله يستند على شهادة يوحنا الإنجيلي والمملوءة حكمة إذ يكتب عنه قائلاً " ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية"⁴. هل اتضحت الأمور أكثر بالنسبة لك؟ وهل أصبح من السهل أكثر أن تؤمن بذلك بدلاً من أن تظن أن الابن ليس من نفس جوهر الآب؟

إرميا: إنى أعتقد أنه لا يوجد شئ يمكن أن يدحض كلمات يوحنا

¹ سبق أن شرح يوستين المدافع والشهيد (+ 161م) طريقة ولادة الابن من الآب باستخدام تشبيه النار والحرارة الناشئة عنها. انظر حوار مع تريفو: 61.

³ استخدم ق. كيرلس نفس هذا التشبيه في سياق البراهين العديدة التي أوردتها لإيضاح حقيقة وحدة الجوهر للآب والابن. انظر شرح إنجيل يوحنا. المرجع السابق ج1. الفصل الثالث. البرهان 22. ص40.

³ في إطار شرحه ليوحنا 57:6 " كما أرسلنى الآب الحيّ وأنا حيّ بالآب" يتكلم ق. كيرلس بلسان الابن المتجسد ويقول: " وحيث إننى أنا الكلمة، ووُلدت حياة من ذلك الذي هو بالطبيعة حياة.. ولأننى الحياة بالطبيعة لأننى من الآب الحيّ ". انظر شرح إنجيل يوحنا، إصدار مركز دراسات الآباء، القاهرة 1998، ج3 فصل 3 ص159.

⁴ 1يو5:20.

اللاهوتي لأنها تشهد شهادة قوية عن الابن ضد ما يردده المعارضون. غير أنه عندما يُسمّى الابن بالإله الحق ففي الحال يبتسم المعارضون في سخرية ويقولون إن الابن في الواقع ليس هو إله حق لكن الآب بإرادته قد منحه هذا الاسم. وبضيفون قائلين إن القديس بولس كتب " رَفَعَهُ اللهُ وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ"¹.

هل الابن هو أقل من الآب لأنه قد أُعطيَ "اسمًا"؟
كيرلس: يجب أن تعلم أنى أتفق معك أنه قد أُعطيَ اسمًا فوق كل اسم. فإن اعترض أحد على أقوال الوحي الإلهي فإن هذا لا يدل . على ما أعتقد . على رجاحة الفكر بل على عقل منحرف وعلى محاولة إنسان قد إختل عقله. غير أنى مندesh من فنون وأساليب المعارضين في التضييل لأنهم لم يحاولوا حتى مجرد التفكير في سبب إعطائه اسمًا، لكنهم يفتشون عن كلمات تخدم أفكارهم² وفي همة يستغلون أى أمر يظهر وكأنه ضد مجد وكرامة الابن. مع

¹ في 2:9. ويُلاحظ أن القديس كيرلس كان قد إستخدم نفس هذه الآية في سياق تعليقه على رؤية زكريا وأنه شاهد وزنة رصاص قد رُفعت (زك 11:5:5) يقول ق. كيرلس: " وزنة الرصاص هي المسيح نفسه الذي رُفع بالصليب ونراه يشع بمجد الألوهية لأن الله رَفَعَهُ عَالِيًا وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ ". انظر كتاب السجود والعبادة بالروح والحق، ترجمة الباحث جورج عوض إبراهيم، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، يوليو 2002 الجزء الثاني المقالتان الثانية والثالثة. ص 61.

² هذا هو أسلوب الهرطقة دائمًا في استخدام النصوص المقدسة. ولقد كشف القديس أثناسيوس نفس هذا الأسلوب الذي اتبعه الآريوسيون. انظر المقالة الأولى ضد الآريوسيين، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، الفصل الثالث والفصل الحادي عشر. ومن الجدير بالذكر أن لفظ هرطقة ليس عربيًا بل يونانيًا من الكلمة "هيرسيس" a%resij بعد أن تم نقل كل أحرفها اليونانية إلى أحرف عربية أو ما يسمى ب Transliteration والمعنى الحرفي للكلمة اليونانية هو من معنى الفعل a,,ret...zw الذي يعنى أختار أو أنتقي. ولذلك فإن لقب هرطقة أطلق على الأشخاص الذين كانوا ينتقون أو يفتشون عن كلمات من بين النصوص المقدسة كي تخدم أفكارهم التي لا تتفق مع إيمان الكنيسة المستقيم.

أن الوحي الإلهي يحدّد الوقت الذي أُعطى فيه الابن هذه العطية لأنه لم يكن آخر هو الذي كُتِب عنه " الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله لكنه أخلّى نفسه آخذاً صورة عبد صائرًا في شبه الناس وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب ولذلك رفعه الله أيضًا وأعطاه اسمًا فوق كل اسم¹ لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومَن على الأرض ومَن تحت الأرض ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو الرب لمجد الله الآب²."

إرميا: وماذا يعنى هذا؟

كيرلس: كان من الممكن أن يكون هذا الكلام مثل طريق مُمهّد ومَعْبَر لمن يريدون الفهم بطريقة صحيحة، ويقودهم هذا الكلام إلى الحق. فلتفهم يا

¹ إنشغل ق. أنثاسيوس من قبل ببيان التفسير المستقيم لهذه الآية بالتفصيل وموضحاً ألوهية الابن المتجسد وأن إعطاؤه اسمًا لا يعنى أنه غير مساو للآب في الجوهر. انظر المقالة الأولى ضد = الأريوسيين، مركز دراسات الآباء، فصل 11 ص 87.74 ولقد اتبع ق. كيرلس نفس هذا التفسير وتأثر به.

² في 11.6:2. سبق أن استعان ق. كيرلس بالجزء الأول من هذه الآيات (6، 7) في الرد على الأريوسيين الذين قالوا إن الابن هو من طبيعة متوسطة بين الله والبشر لأنهم فهموا قول بولس الرسول "يوجد وسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع" (1 تي 2: 5)، وذلك بطريقة خاطئة، لهذا نجد أن ق. كيرلس يقول: [إن الرسول يحدّد على ما أعتقد، أن الفترة الوحيدة التي تتناسب مع الوساطة هي الأزمنة الأخيرة، والتي فيها حسب كلام الرسول "الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلّى نفسه آخذاً صورة عبد". ورغم أنه الإله والرب فلكي يُرجعنا بواسطة ذاته لله الآب ولكي يصلح الكل حسب المكتوب "عاملاً الصلح بدم صليبه سواء كان ما على الأرض أم ما في السموات" لكي يصنع ذلك كله، توسط كإنسان. ولهذا يقول بولس " نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله وذلك بالإتحاد بشخص المسيح. ولأن طبيعة الإنسان لا تحتمل أن تستوعب مجد الله في حالته الأولى قبل التجسد، فقد لبس الابن الوحيد لأجلنا ولأجل منفعتنا جسداً. وتشبهه بنا]. حوار حول الثالوث، الجزء الأول، المرجع السابق ص 32.

صديقى أنه إذ قد أُعطى الاسم " كهبة " فهذا يشير إلى عملية الإخلاء وأن الابن قد وضع نفسه حسب التدبير، من أجلنا. وطالما أنه أخذ اسماً . وفق عملية الإخلاء والخضوع هذه . فيبدو كأنه أخذ شيئاً لا يمتلكه قبل عملية الإخلاء لأنه من نفس جوهر الله الآب. وطالما أنه وضع نفسه وقد تنازل من علوه إلى ما هو أقل، فإنه يرجع بالقطع إلى علوه السابق، وهذا لا يعنى أنه يأخذ مجد وكرامة آخر بل ما كان له منذ البدء. أما إن كانوا يعتقدون أنه من الضروري أن يقولوا إن الابن قد أخذ مجداً وكرامةً غريبة عنه عندما أُعطى اسماً فوق كل اسم، كهبة من الآب، فحينئذٍ لا يوجد شئ يمنعنا حسب المنطق من أن نفهم سر تأنسه بطريقة عكسية وأن نحول تجسده إلى اتجاه آخر تماماً. وسأقول لك بأى طريقة يتم هذا. إن كان أخذ الابن لاسم فوق كل اسم ليس هو اخلاء بالنسبة له، لكن بالحرى اكتسابه لشئ جديد لم يكن له حسب طبيعته، حينئذٍ سيكون هناك إخلاء جوهرى أو بالحرى إخلاء قد حدث قبل أن يحدث الإخلاء في ملء الزمان. بينما الزمن الذي فيه تم الإخلاء . وبطريقة لا أعلمها . أى الزمن الذي أخلى فيه ذاته، هو زمن المجد والكرامة، بعدما اقتنى ما لم يكن له بحسب الطبيعة وامتلك أموراً لا تقارن بما كان له سابقاً. غير أنه . وكما تؤمن أنت . أن الاسم الذي هو فوق كل اسم قد أُعطى للابن عندما اتخذ جسداً كواحد منا، وتعيّن ابن الله وهو الابن الحقيقى، كابناً بالتبني مثلنا ومن أجلنا حتى أننا بواسطته نصير أبناءً لله بالتبني ، وتكون لنا شركة الطبيعة الإلهية. أم أنك تعتقد أن الحديث قد حادَ عما يجب؟

إرميا: بالطبع لا.

كيرلس: لقد قرّرنا . وعلى عكس عناد المعترضين . أنه لا بد وأن نعترف

بالأمور الأسمى وأن تتمسك بغير لوم بالإيمان بالابن الوحيد¹ ولنبتعد عنا كل كبرياء كما هو مكتوب²، ولنخضع كل فكر إلى طاعته. أما إن رفضنا أن نفعل ذلك فيجب علينا أن نقبل ما يقوله هؤلاء وسننكر على الابن الوحيد كونه الإله الحقيقي. وبهذا سنقول أيضًا إنه ليس لدينا شيء آخر نضيّعه.

إرميا: هل ستوضّح لي ما تريد، أم ستحاشي الحديث؟
كيرلس: بالتأكيد لديّ رغبة أن أتحدّث ولن أتحاشي الكلام عن هذه الأمور أم ربما كان من غير الصحيح أن نقول إنه طالما قد أعطى اسمًا أفضل وأنه . بطريقة ما . دُعي إلهًا، فإن هذه العطية يمكن أيضًا أن تفارقه؟ لأن ما يُعطى لا يبقى ثابتًا إلى الأبد. وحسب هذا فإن الآب نفسه سيكون معرضًا لما لا يليق أن يُنطق به. لأن الآب سيُصبح أقل من الابن وستكون طبيعته أدنى من طبيعة المولود منه . مع أن الابن حسب زعمهم أقل من الآب . لأنه لو أن الابن كان له مجرد أن يدعى إلهًا لكان مجد ألوهيته مجد زائف ولكان وكأنه أعطى هذه الرتبة الآن فقط وكأنها رتبة زائفة لو أنه بالفعل كان ما يملكه من الألوهية هو مجرد اسم (أي مجرد عطية).

إرميا: إن حديثك يوضّح بشاعة هذه الأمور غير اللائقة.
كيرلس: بالفعل هي أمور بشعة، لكن من الضروري أن نستعرضها. لأننا

¹ في بداية مقالته الأولى ضد الآريوسيين الذين أنكروا ألوهية الابن المتجسد، أوضح القديس أنثاسيوس الإيمان الصحيح عن الابن الوحيد بقوله: " ها نحن إذًا نتحدّث بحرية عن الإيمان الصحيح النابع من الكتب الإلهية، ولنضع هذا الإيمان كسراج على المنارة فنقول: ابن حقيقي حسب الطبيعة للآب ومن نفس جوهره وهو الحكمة وحيد الجنس وهو الكلمة الحقيقي لله وهو ليس مخلوقًا ولا مصنوعًا، ولكنه مولود حقيقي من ذات جوهر الآب ولهذا فهو إله حق إذ أنه واحد في الجوهر $\text{Emoo}\dot{\text{U}}\text{sio}\dot{\text{z}}$ مع الآب الحقيقي ". انظر الفصل الثاني فقرة 9.

² انظر 2كو 5:10.

عندما نفعل هذا فإننا نستبعد ما هو ليس حق ونُظهر ما هو حق. إذا طالما أن الابن . كما يعتقدون . قد أخذ اسمًا من الله الآب مكافأة له على إخلائه، فبالتالي يمكن أن يقال إنه قَبْلَ زمن الإخلاء (أى قبل التجسد) لم يكن له هذا الاسم إذ أن هذه النعمة المعطاة . والتي يمكن بسهولة أن تُفقد . لم تظهر إلا في زمن الإخلاء. وغير ذلك، كيف كان الابن مساويًا لله الآب طالما أنه لم يكن قد أخلى نفسه بإرادته ولم يكن قد أخذ شكل العبد؟ لأنه لم يحسب مساواته لله خلسة. إذا فإن كنا نقول إن الابن قَبْلَ زمن الإخلاء كان مساويًا للآب، وأنه عندما أخلى نفسه، كُرِّمَ بطريقة خاصة وأضيف له مجد فوق المجد الذي له، فإنه سيكون بهذا الشكل قد فاق الآب نفسه.

إرميا: هذا كلام صعب جدًا.

كيرلس: غير أنه سليم من حيث طريقة التفكير. فلو قالوا إن الابن . عندما أخذ اسمًا فوق كل اسم . كان قد اكتسب شيئًا أسمى، فهذا يعنى أن طبيعته قد تطوّرت وفاقّت طبيعة الله الآب. لأن هذا ما يتضح من كلامهم الشنيع الذي سبق أن قالوه. ومن ناحية أخرى لو أن المرء قد رأى الابن أقل بين آخرين أسمى منه ولم تزيده العطية أى شئ مع أنه يُفهم أنه أخذ شيئًا، فكيف لا يظهر كذب وهراء من لهم مثل هذه الجراءة الكبيرة أن يقولوا إن الطبيعة الإلهية التي لا توصف تتفوّق قليلًا فقط على الطبيعة المخلوقة حتى لا يقال إنها لا تتفوّق عليها بالمرّة ؟ وأيضًا أن يقولوا إنه لو أن هذه الطبيعة قد أعطت خصائصها الذاتية لأحد المخلوقات كي ترفعه للمجد فإنه لن يستفيد إلا القليل. غير أنه لو فكّرنا هكذا لكان هذا هراء منا، لأن الأمور المختصة بالله هي يقينية وتستحق كل المجد. وحسب فكرهم فإن الله الآب يظهر وكأنه أفضل من نفسه، مانحًا لغيره عطايا أفضل مما يملك.

إرميا: بأى طريقة؟

كيرلس: بأنه (أى الآب) قد أعطى الابن . الذي هو مساوٍ له وله نفس المجد حتى قَبْلَ إخلائه لذاته . أعطاه اسمًا فوق كل اسم واضعًا إياه في مرتبة عالية. إذا أليس ما يقوله المعاندون هو هراء تفوح منه رائحة الجهل؟

إرميا: بالتأكيد.

كيرلس: كما أعتقد أن المرء يستطيع أن يثبت هراء ما يقولون كالاتى:
لو كان الابن يعرف أنه يحمل مجرد "اسم الابن" وأنه ليس ابنًا بطبيعته (الإلهية) فما الذي جعله ينادى عاليًا ويقول "أنا هو الحق"¹. لأن المزيّف ليس هو حقيقى، ومن يُظهر ما ليس له حسب الطبيعة، بل (يظهر) تلك الأمور الخارجية والغريبة عنه، فهو يحاول أن يخترق الحقيقة والمجد بالقوة. غير أن الواقع ليس هكذا، كما أن هذه الأفكار مشوهة. وإن كان (الكلمة) ليس هو الله بالطبيعة فلماذا رأى أنه لا يجب أن يحسب نفسه مع أولئك الذين هم آلهة بالتبني لكنه ميّز نفسه عن كل القديسين وسار في طريق لا يستطيع أحد منهم أن يسير فيه وذلك بقوله "إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله، ولا يمكن أن ينقض المكتوب، فالذي قدّسه الآب وأرسله إلى العالم أقولون له أنك تجنف، لأنى قلت إنى ابن الله"²؟ أى أنه يقول: طالما أن هؤلاء الذين يقبلون كلمة الله ويضعونها في داخل نفوسهم، يدعون آلهة، فكيف لا يكون ذاك الذي صيّرهم آلهة، هو نفسه إلهًا؟³ لأن "

¹ يو 14:6.

² يو 10:36-35.

³ هذه الآية نفسها استخدمها القديس أثناسيوس في سياق دفاعه عن ألوهية الروح القدس ليدافع عن ألوهية الابن، لأنه إن لم يكن الابن هو الله لما كان روحه أيضًا هو الله إذ يقول: [لكن إن كان البعض (من المخلوقات) قد دعى آلهة، فذلك ليس بحسب الطبيعة بل بحسب إشراكها مع الابن، =

الكلمة كان الله " كما يقول القديس يوحنا، والفعل كان $(\frac{1}{2}n)^1$ لا يعنى أن المجد صار له بعد وقت معين بل أن هذا المجد هو له قبل كل الدهور. إذًا هل يشير تعبير "كان" إلى أن هذا المجد كان له دائمًا، أم يعنى أن هذا المجد كان له في بداية الزمن فقط؟

إرميا: بالصواب تتكلم، لأن تعبير "كان" يتعدى حدود الزمن.

كيرلس: والقديس بولس لا يعترف بالابن على أنه ابن لا يتحلّى برتب غير أصيلة فيه، بل يعترف به إلهًا بالطبيعة متحدًا بالله الآب بعلاقة جوهرية حسب الطبيعة.

إرميا: كيف؟

كيرلس: إنه يكتب الآتى " لأنه وإن وُجد ما يسمى آلهة سواء كان في السماء أو على الأرض كما يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون لكن لنا إلهًا واحد الآب الذي منه جميع الأشياء ونحن له، ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به"². فلو أنه كان قد اعترف بأنه يجب أن يُحصى

=لأنه هكذا قال هو نفسه " إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله ". ومن أجل هذا فلأنهم ليسوا آلهة بالطبيعة، فإن بعضهم قد يعانى التغيير (إذ هي مخلوقة) في وقت ما، ويسمعون القول "إنى قلت أنكم آلهة وبنو العلى كلكم، لكن مثل الناس تموتون " (مز 6:81، 7س) هكذا كان ذلك الذي سمع " أنت إنسان لا إله " (خر 9:28) أما الابن فهو إله حقيقي مثل الآب لأنه هو في الآب والآب فيه. الرسائل عن الروح القدس. المرجع السابق، مركز دراسات الآباء 1994 الرسالة الثانية:4.

¹ الفعل "ἐγενήθη" في اللغة اليونانية هو صيغة الماضى لفعل الكينونة "يكون" "ἐγενήθη".

² 1كو 8:65. سبق أن استخدم ق. أثاناسيوس هذه الآية لإثبات ألوهية الروح القدس فيقول: [إذا كان الابن هو كلمة الله فهو واحد كما أن الآب واحد، لأنه " يوجد إله واحد الذي منه جميع الأشياء ... ورب واحد يسوع المسيح " لذلك يُقال ويكتب عنه أنه " الابن الوحيد " وأما المخلوقات فهي كثيرة ومتنوعة: ملائكة، رؤساء ملائكة، شاروبيم، رئاسات سلاطين وغير ذلك كما سبق أن قلنا. وإذا كان الابن ليس من الكثيرين لكنه واحد، كما أن الآب واحد وهو ليس مخلوقًا فبالضرورة (لأنه ينبغي أن

الابن بين الذين يحسبون آلهة بالنعمة، فلماذا لم يجعله بين هؤلاء الآلهة، ويشير فقط إلى إله واحد وفريد هو الآب الذي هو الله والرب ولأنه مميّز بين الابن وبين تلك الآلهة الأخرى وقال إنه يجب أن يدعى الآب إلهًا والابن ربًا؟ غير أني أعتقد أنه من الحكمة والضرورة أن لا نفصل المجد الذي هو حسب الطبيعة عن الألوهة الحقّة، وأن لا نُخرج الربوبية الحقّة بعيدًا عن الطبيعة الإلهية، لأنه من الواضح أن كلاً من الآب والابن له بالحرى الألوهة والمجد. والدليل الواضح على أن الآب والابن هما واحد في الجوهر هو أن لكل منهما خصائص هذه الطبيعة وأن كل منهما له نفس هذه الطبيعة الإلهية الواحدة وهذا يؤكد وحدتهما المطلقة (في الجوهر) وأنهما لا يحتاجان شيئاً من خارجهما.

إرميا: لكن كيف يكون هذا؟

هل بنوّة الابن للآب هي بنوّة حسب الطبيعة أم أنها بالتبني وأنها هبه بالروح القدس؟

كيرلس: إن سألك أحد يا إرميا عن الابن فهل ستقول له إنه ابن بالطبيعة أم أنه ابن فقط بحسب مشيئة الآب، أي أنه ابن كباقي البشر؟

إرميا: طبعًا سأقول إنه ابن بالطبيعة غير أني أعتقد أن أي من المعارضين لن يعترف بهذه الحقيقة.

كيرلس: أنت ستقول هكذا، أما هم فإنهم . خلاف ذلك . يضيفون قائلين عنا

نأخذ من الابن معرفتنا عن الروح) لا يمكن أن يكون الروح مخلوقًا، لأنه ليس من بين = الكثيرين، بل هو نفسه واحد [. الرسائل عن الروح القدس. المرجع السابق، مركز دراسات الآباء، القاهرة 1994. الرسالة الثالثة: 3.

إننا نهذى وأن فكرنا قد انحرف. وقل لى مَنْ من هؤلاء الذين يختلفون معهم ولا يوجهون له إتهام؟ فإنهم قد صاروا مسعورين وقد وصلوا إلى درجة لا توصف من الجنون بشأن هذا الأمر حتى أنهم اعتقدوا أن الابن يجب أن يصنّف ابنًا بالتبني مثله مثل بقية البشر. ومع أنه كان ينبغي عليهم أن يخلوا من ضلالاتهم هذه ومن أنهم يشوهون الحقيقة الساطعة بأن يعطوا الابن مجداً متميزاً لا يستطيع غيره الوصول إليه، وذلك حسب تصورهم الخاطئ عنه؛ غير أنى أود أن أسألهم عن طريقة التبني هذه وكيف حدثت وأيضاً عن بنوته هو وبنوتنا نحن. لأننا ورثنا أن نكون أبناء، ولسنا نحن الذين نقول كيف صرنا أبناء لكن القديس بولس هو الذي علّمنا ذلك عندما كتب "ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب"¹. وهذا معناه: نحن نقول إننا دعينا إلى البنوة الروحية وذلك بسبب أن الابن يسكن في داخل قلوبنا بطريقة لا توصف بواسطة الروح القدس²، أم أنك تظن أن الأمر ليس كذلك؟

إرميا: إني أظن أن الأمر هكذا، لأنى أذكر أن القديس يوحنا كلّمنا عن الله قائلاً "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أى

¹ غلا4:6. إستخدم ق. كيرلس نفس هذه الآية، انظر ص62.

² سبق وأن رد ق. أنثاسيوس على الآريوسيين الذين أنكروا ألوهية الروح القدس أيضاً، وبالتالي فإنهم علّموا بأن الثالوث قابل للتقسيم، وكان قد علّم بأن الثالوث غير قابل للتقسيم وأورد الكثير من آيات الكتاب المقدس التي تثبت تعليمه ومنها قوله: [كما أن المسيح ابن حقيقي، فإننا عندما نأخذ الروح "نصير أبناء" لأن الكتاب يقول " إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً لخوف بل أخذتم روح التبني " (رو8:15). وإن كنا بالروح قد صرنا أبناء فواضح أننا في المسيح ندعى أولاد الله لأن " كل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله "]. الرسائل عن الروح القدس. المرجع السابق. الرسالة الأولى: 19. وفي موضع آخر من نفس الرسالة يقول عن الابن أنه " يوحدنا الآب بواسطة الروح الذي فيه ".

فقرة 24. انظر أيضاً المقالة الثالثة ضد الآريوسيين: 20.

المؤمنون باسمه "1.

كيرلس: انتبه إذا يا صديقي، إلى النتيجة التي يمكن أن يصل إليها الحديث عن الابن الوحيد لو أنه أصبح مساوياً لنا نحن الذين دُعينا للبنوة. لأنه لا يمكن أن يصير الإنسان المخلوق ابناً إلاّ عن طريق ابن الله² وبواسطة نعمة الروح القدس وهذا ما يؤكده الرسول بولس بقوله " وبما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارحاً يا أبا الآب "3، فإن كان الأمر هكذا ففيمض سيصير الابن ابناً هو أيضاً؟ لأنّي لا أعتقد أنهم سيقولون إنه صار ابناً بذاته في ذاته على الرغم من أنه حُسِبَ بين الذين قد دعوا أبناء بالتبني طالما أنه . حسب فكرهم . قد أُستبعد عن أن يكون ابناً حقيقياً بالطبيعة.

إرميا: فماذا تجاوبهم لو قالوا إننا بالفعل قد قَبِلنا الابن في داخلنا بينما هو قد قَبِلَ الآب في داخله؟
كيرلس: كنت سأجيب بأنه لو أن هؤلاء يحددون . حسب ما يريدون . جوهر

¹ يو 1:12.

² يؤكد ق. كيرلس هذه الحقيقة عندما يشرح هذه الآية في مجال شرحه لإنجيل يوحنا فيقول: [إذ حيث إنهم قبلوا الابن نالوا السلطان أن يُعَدّوا من أولاد الله فالابن وحده هو الذي يعطى بحسب ما يخص طبيعته ليكون في سلطانهم أن يصيروا أبناء الله جاعلاً ما يخصه مشتركاً وعاماً بينهم ليكون هذا صورة طبيعة محبته للإنسان وللعالم. وليس هناك وسيلة أخرى غير هذه تجعلنا نحن الذين لبسنا "صورة الترابي" نهرب من الفساد إلاّ إذا ختمنا بجمال صورة السمائي (كو 15:49) بدعوتنا إلى البنوة لأننا عندما نشترك فيه بالروح القدس نختُم لنكون مثله ونصعد إلى الصورة الأولى التي أخبرتنا الكتب المقدسة بأننا خلقنا عليها (تك 1:27)]. شرح إنجيل يوحنا، مركز دراسات الآباء، القاهرة 1989، ج 1 ص 124. وفي موضع آخر من شرحه لنفس الآية يقول: [إذا هو الابن بالحق وبالطبيعة ونحن صرنا به أبناء أيضاً وننال الخيرات بالنعمة دون أن تكون هذه الخيرات من طبيعتنا]. المرجع السابق ص 125.

³ غلا 6:4.

الطبيعة الإلهية وينسبون لها قوانينًا يعتقدون بصحتها، فإن الحديث مع هؤلاء في هذا الأمر لن يصلح أبدًا، لأنهم يتكلمون بما في داخل قلوبهم ولا يرددون بالمرّة ما قاله السيد بفمه. أما إن اعتقدوا بأنهم لابد أن يسلكوا طريق الحق والمعرفة الإلهية، فحينئذٍ لابد أن ما يؤمنون به يكون مؤيدًا بكلمات الكتاب المقدس¹.

إرميا: هم يقولون ذلك لأن الابن قال لفيلبس "ألمست تؤمن أنى أنا في الآب والآب في"².

¹ لقد اعتمد آباء الكنيسة المعلمين في تحديد العقيدة وصياغتها. وعلى عكس الهراطقة. على الإعلان الإلهي الذي تسلمته الكنيسة من الرب نفسه وعاشته في تقليدها المقدس الذي عيرت عنه نصوص الكتاب المقدس. لمزيد من التفاصيل انظر د. جوزيف موريس فلنس: الآباء والعقيدة. المنشور في دورية دراسات آباءية ولاهوتية، مركز دراسات الآباء، يناير 1998 السنة الأولى العدد الأول ص27-17.

² يو 10:14. لقد فند القديس كيرلس الهراطقات التي أنكرت ألوهية الابن والتي نادى بأن الابن ليس هو الله بالطبيعة وبأنه أقل من الآب، وذلك بتقديمه براهين كثيرة بلغ عددها (22) في مقدمة شرحه لإنجيل يوحنا. ولقد مثل الشاهد يو 10:14 البرهان الأخير من هذه البراهين فيقول: [لقد قال المخلص إنه في الآب والآب فيه وواضح لكل أحد أن هذا لا يعنى وجود جسد في جسد آخر أو وعاء في وعاء، وإنما الصواب أن الواحد يعلن الآخر. لأن كل منهما في الآخر في الجوهر نفسه غير المتغير وله ذات الطبيعة الإلهية الواحدة غير المتغيرة. ولعل أقرب تشبيه هو أن يشاهد إنسان وجهه في مرآه ويندهش من التماثل القائم لدرجة أنه يقول "إنى في هذه الصورة وهذه الصورة في" أو مثلما نقول حلوة العسل حينما نوضع على اللسان "الحلوة في العسل والعسل في" أو مثل الحرارة الصادرة من النار كما لو كانت نقول "أنا في النار والنار في". وكل هذه الأشياء التي ذكرناها هي متميزة في الفكر، ولكنها واحد في الطبيعة، وكل واحد يصدر من الآخر بدون إنقطاع وبدون انفصال، حتى إن كان يبدو أن ما يصدر كأنه ينفصل عن الشيء الذي هو موجود فيه. ورغم أن معنى الأفكار الخاصة بهذه الأشياء تأخذ هذا الشكل، ولكن لا يزال الواحد منها يظهر في الآخر، وكلاهما واحد بحسب الجوهر. "الإنسان والصورة، الحلوة والعسل، الحرارة والنار" وعلى نفس القياس فبسبب عدم تغيير الجوهر، والدقة في تعبير الصورة عن الأصل فإننا نفهم أن الآب في = الابن. فكيف يمكن والحالة هذه أن يقال أن الآب

كيرلس: إذًا فالآب يقدّس الابن بكونه (أى الآب) في داخله؟

إرميا: هم بالقطع سيقولون نعم.

كيرلس: وهل يتقدّس الابن لأن الآب هو بالطبيعة قدوس وله في ذاته القدرة

أن يقدّس من يكون فيهم، أم أنه يستمد القداسة من آخر؟¹

إرميا: لأن الآب نفسه قدوس بالطبيعة.

كيرلس: إذًا فالابن لا يملك بالتأكيد قداسة حسب طبيعته، كما يدعى

الحمقى الذين يفكرون في كل أمر غير لائق، لكنه أخذ طبيعة لم تكن حرة

في أن تخطئ بمعنى أن عتقها الدائم من الخطية كان يتوقف على ما تفعله.

فلو أنهم قبلوا أن هذه الطبيعة قد ربحت شيئاً من قداسة الآب ومن سكناه

ومجده الذي يبهرننا، فكيف يكون بلا هدف أن يقال إن الله الآب سكن فيه

وأنه هو في الآب والآب فيه، وما معنى هذا الكلام أو ما هي تفاصيل هذا

الأمر؟ لنفحص كل هذا هنا بتدقيق.

إن الابن . كما يعتقد هؤلاء . قد سكن في الآب لأنه كان . حسب فكرهم

أعظم أو أن الابن أقل. فإذا كان الآب في الابن والابن في الآب فهذا يعنى أن الكامل في الكامل أى

في الابن الذي يستطيع أن يحتوى الكامل وهو الصورة المعبرة للآب ضابط الكل .]. شرح إنجيل يوحنا،

مركز دراسات الآباء، القاهرة 1989م، ج 1 ص 40.

¹ لابد أن نفوق طبيعة من يقدّس طبيعة من يتقدّس وبالتالي فالابن لأنه هو الله وواحد مع الآب في

الجوهر فإنه يقدّس من يكون فيهم. وقد استخدم ق. كيرلس هذا البرهان المُنقَع في سياق حديثه عن

ألوهية الروح القدس وأن طبيعته الإلهية تختلف عن طبيعة ملكى صادق الذي اعتقد البعض أنه هو

الروح القدس فيقول: " فإن قلنا إن الروح يقوم بالخدمة الكهنوتية (ويقصد ملكى صادق) فإنه يكون أقل

من الطبيعة الإلهية ويكون بالحرى من ضمن المخلوقات، ويسجد معها لله، ولا يُقدّس ذاته لأن الذي

يُقدّس هو أسمى ولا يحتاج أن تنقدس طبيعته من آخر ". انظر جلافيرا (تعليقات لامعة). ترجمة

الباحث جورج عوض إبراهيم، المقالة الثانية عن سفر التكوين. نُشرت بالكتاب الشهري للشباب والخدام،

ديسمبر 2004.

غير المستقيم . في إحتياج إلى التقديس¹ . وقد يتساءل المرء ما الذي ربحه الآب نفسه بكون الابن داخله؟ فلو أنهم قالوا إن هذه هي الطريقة التي يجب أن يتقدّس بها من تتطلب طبيعته التقديس، حينئذٍ نتساءل لماذا ونحن نتقبل الروح لا ننقل إليه حتى يصبح فينا ونحن فيه؟ وإن كانت لا تقلقهم هذه الأمور التي لا تليق (لأن الروح القدس هو فينا وليس نحن فيه حسب الطبيعة) فكيف لا يكونون غارقين في أفكارهم الباطلة باعتقادهم أنه لا يجب أن نفسر كون الآب في الابن والابن في الآب على أنه كذلك بسبب وحدة الجوهر لكن يعتقدون أن هذا يتم بطريقة من يتلقى شيئاً صالحاً من خارجه؟ ومن ناحية أخرى أظن أنه ينبغي أن نقول الآتي أيضاً: إنه في اتحادنا بالابن والذي يتم بواسطة الروح القدس في الذين يقبلون، ألا نتغيّر نحن لنصير أبناء طالما أن الابن يشركنا في مجده ويطبع ملامحه هو في نفوس من يقبلونه؟² إرميا: بالطبع.

كيرلس: إن لدى الابن القدرة . حسب طبيعته . على أن يجعل له أبناء، وأن له هذه القدرة . كما أعتقد . بسبب أنه ليس هو آخر سوى أنه هو نفسه ابن .

¹ هذا بالطبع هو فكر الهراطقة غير المستقيم . فالحقيقة أن الابن هو . مثله مثل الآب . قدوس حسب طبيعته . وفي موضع آخر وفي سياق شرحه لملائس هرون الكهنوتية وعلاقتها "بسر المسيح" فإن ق . كيرلس قد فسّر عبارة "قدس للرب" المكتوبة على صفيحة من ذهب على عمامة هارون، بأنها هي عبارة تخص الابن المتجسد غير أنها لا تصفه بأنه محتاج للقداسة إذ هو قدوس حسب طبيعته الإلهية ولا يحتاج إلى التقديس من آخر، إنما هي تعني أن الابن قد عيّن خصيصاً وأُرسل إلى العالم لخلاص وتقديس البشرية . انظر السجود والعبادة بالروح والحق، المقالة الحادية عشر .

EPE. qes/nikh 1999. T. 132.

² سبق أن عالج ق . أنثاسيوس نفس هذه القضية في مقالته ضد الأريوسيين الذين أنكروا ألوهية الابن وبالتالي بنوّته حسب الطبيعة للآب، وبالتالي عدم قدرته على أن يجعلنا . يقول روحه . أبناء لله الآب . انظر المقالة الثانية 51:2.

إرميا: دعنا نقبل هذا، لكن ماذا سنستفيد من ذلك الرأي؟
كيرلس: إننا نقبل . حسب التفكير المنطقي والسليم . أن سُكنى الآب لها نفس فاعلية سُكنى الابن، لأن مَنْ يمتلئ منه سيحصل على نفس الكمال كما في حالة سُكنى الابن. لأن الآب يجعل مَنْ يريد أن يسكن هو فيه، أبا وليس ابناً، ويشكله حسب صورته.

إرميا: فقل لى إذاً، هل نقبل بأن صورة الله التي حصلت عليها الطبيعة البشرية (لأن الإنسان خُلِقَ على صورة الله ومثاله)¹، تشير إلى مشابھتنا للابن فقط أم أننا . حسب هذا الرأي . سنقبل أنها تشير إلى مشابھتنا للآب والابن، وأننا سنقول إننا خلقنا مشابھين للطبيعة الإلهية بكاملها مع أننا أبناء ونحسب من بين البنين؟

كيرلس: وغير ذلك يا صديقي، ألا تعتقد أنه يجب أن تفكر كيف أن كل كلامنا هنا هو عن الإيمان بالطبيعة الإلهية الواحدة والتي هي في ثلاثة أقانيم متميزة ولها نفس الجوهر فهي تمثل إلهاً واحداً أسمى² من الكل والذي نتشكّل على هيئته حسب ما يقول الكتاب، ولكننا نأخذ ختم التبنّي عن طريق

¹ تك 1:26.

² وقد سبق أن تحدث القديس كيرلس عن الطبيعة الإلهية الواحدة في ثلاثة أقانيم وذلك في الجزء الأول من حوار حول الثالوث ص63،62، فقال: [حينما نقول الطبيعة، فإنما نعني كل الثالوث القدوس في الله الواحد، ولا نعني كل أقنوم على حدة، بينما حين نتناول البحث في " الآب والابن والروح القدس " فإننا لا نقصد كشف كل الطبيعة الإلهية بلا تمييز، ولكننا نبدأ بقدر الإمكان بتمييز الأقانيم كل أقنوم بحسب خاصيته، لنصل إلى إدراك وحدتهم الجوهرية، حسب طاعتنا]. ويقول ق. أثاناسيوس عن أهمية أن يكون التعليم اللاهوتي هو في الأساس تعليمًا عن الثالوث: " فإذا كان التعليم عن الله كاملاً الآن على أساس فهمه كثالوث فهذه هي الديانة والعبادة الحقيقية والوحيدة وهذا هو الصلاح والحق. وهذا هو الواجب أن يكون هكذا دائماً ". المقالة الأولى ضد الأريوسيين، مركز دراسات الآباء، القاهرة 2002.

الابن بواسطة الروح القدس¹. فالبنوة هي صورة الابن والأبوة هي صورة الآب. إذاً فنحن أبناء بسبب الابن كما أننا على صورة الله وشبهه إذ قد خُلقنا هكذا منذ البداية على صورة كمال الطبيعة (الإلهية) أعنى الطبيعة الفائقة².
إرميا: ما تقوله صحيحاً.

كيرلس: وبالتالي فإن امتداد المناقشة إلى ما لا يجب وكما يريدون هو أمر بلا معنى ولن يجدى نفعاً، غير أنى أرى أنه من الحكمة أن نتناقش وأن نؤمن بتلك الأمور النافعة لنا في كل الحالات.
إرميا: هذا حق.

الروح القدس هو روح الابن مثلما هو روح الآب³:
كيرلس: إذاً ما يقوله هؤلاء هو أساطير لا نفع منها، إذ أن شرورهم لا حد لها بينما نحن لا نستطيع أبداً أن نؤمن بأن الابن هو إله غير حقيقى، وأنه يتقدس بمعنى أنه يُدعى من الآب كى يصير ابناً وأنه يتمجد معنا كابن، على العكس فإن ما هو عليه إنما هو من طبيعته. لأنه لا يمكن أن يصير

¹ رو8:29. يكرر ق. كيرلس نفس هذه العبارة تقريباً في إطار شرحه المفصل لآية يو6:27 "الذي يعطيكم ابن الإنسان لأن هذا قد ختمه الله الآب " ويدل على أن لفظ "ختمه" دليل على وحدة الجوهر للآب والابن. راجع شرح إنجيل يوحنا، إصدار المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية، ج3 فصل5.

² لمزيد من التعمق في هذه النقطة راجع:

The Image of God in Man according to Cyril of Alexandria by Walter J. Burghardt, Mary Land, 1957.

³ في هذا الجزء يوضح ق. كيرلس ألوهية الروح القدس وذلك من خلال علاقته بالآب والابن حيث إن الأقانيم الثلاثة لهم نفس الجوهر الواحد هذا من جهة ومن جهة أخرى يوضح ألوهيته من خلال عمل الروح القدس كرب وإله فينا حيث يعطينا بهاء ومجد البنوة ويقدّسنا. ومن الجدير بالذكر أن ق. كيرلس هنا يتبع نفس أسلوب وتعاليم ق. أنثاسيوس في معالجة هذه القضية. راجع كتاب الروح القدس: الرسائل إلى الأسقف سرابيون الرسالة الثالثة.

الابن ابناً بواسطة الروح القدس. فالروح القدس هو بالتأكيد روح الآب مثلما هو روح الابن¹ وهذا يمكن أن يعلمه المرء وبدون تعب عندما يسمع الابن نفسه وهو يقول " فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحرى أبوكم الذي في السموات يهب خيرات للذين يسألونه"². وأيضاً " لأنه لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم"³. وبنفس الطريقة فإن القديس بولس يكتب لمن يؤمنون قائلاً: " وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح إن كان روح الله ساكناً فيكم ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له. وإن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية وأما الروح فحياة بسبب البر"⁴. إذاً فبالتأكيد الروح هو الذي يعطينا نحن الأرضيين بهاء مجد البنوة، وأقصد أنه طالما أن الروح هو روح الابن، فإنه يعطى بفعله التبنى للجميع، بينما يكون بلا فعل في ذلك الذي هو ليس غريباً عنه (أى الابن)⁵ الذي هو في الواقع روحه الذاتى، وهو (الروح) ينسكب بواسطة الابن ومسرة الآب على المستحقين أى الذين يقبلونه. أم أنك تظن أننا لم نوضح

¹ انظر ق. أثناسيوس. الروح القدس. المرجع السابق، الرسالة 1:3.

² مت 11:3.

³ مت 20:10.

⁴ رو 8:109.

⁵ الإعراف بألوهية الروح القدس أمر جوهرى في عقيدتنا المسيحية وهذا الأمر استدعى إنعقاد مجمع القسطنطينية 381م لمواجهة التعاليم التي أنكرت أن الروح القدس رب محيى وأنه واحد في الجوهر مع الآب والابن. ولأن الروح القدس هو روح الابن أيضاً فلم يكن غريباً على الآريوسيين أن ينكروا أيضاً ألوهيته كما أنكروا ألوهية الابن وفي هذا يقول ق. أثناسيوس: " إن هذا التفكير ليس غريباً على الآريوسيين لأنهم أنكروا كلمة الله فإنه من الطبيعى أن ينطقوا بنفس التجديف ضد =روح". انظر كتاب الرسائل عن الروح القدس إلى الأسقف سربيون، مركز دراسات الآباء، القاهرة 1994 رسالة 1 فقرة 2.

هذه الأمور بطريقة صحيحة؟

إرميا: إني أتفق معك تمامًا فيما تقول.

كيرلس: وأيضًا عندما يحدثنا القديس يوحنا عن الله بقوله "بهذا نعرف أننا تثبت فيه وهو فينا أنه قد أعطانا من روحه"¹. فكيف يصعب علينا أن ندرك أن الابن هو إله بالحقيقة وأنه قد جاء من جوهر الآب، حيث إن روحه الساكن فينا هو الله وليس شيئًا آخر؟² ومع قولي هذا أضيف أيضًا الآتي: لو لم يكن روح الآب هو الله، الذي به تُعطى حياة وقداسة للبشر، هو روح الابن أيضًا، فمن ذا الذي يصل تفكيره إلى هذا الحد الدنيء حتى يفكر ويقول إن الابن ليس واحدًا في الجوهر مع الله الآب بل هو ضمن المخلوقات، ويقول أيضًا إن الابن لا يعطى ولا حتى يهب للبشر (أن يكونوا شركاء الطبيعة الإلهية) أو تلك المواهب المتميزة الخاصة بها، الأمر الذي يجعله لا يكون مختلفًا بالمرّة عن المخلوقات، وأيضًا يجعل طبيعة المخلوقات مساوية في المجد مع تلك الطبيعة (الإلهية) التي تضبط كل الأشياء.

إرميا: وكيف لا يكون هذا التفكير خاطئًا؟

كيرلس: إذا فطالما أنه من السهل أن نتأكد من خلال الكتب المقدسة أن

¹ 1يو4:13.

² تعرّض أقنوم الروح القدس وهو الأقنوم الثالث الأقدس لهجوم حاد من الهراطقة في القرون الأولى للمسيحية، الأمر الذي تصدى له آباء الكنيسة الكبار مثل القديس أثناسيوس والقديس ديديموس الضرير، والقديس باسيليوس الكبير والقديس غريغوريوس اللاهوتي، والقديس أمبروسيوس أسقف ميلانو. وبعد أن عبّرت الكنيسة في مجملها المسكوني الثاني عن عقيدتها بألوهية الروح القدس جاءت النصوص الليتورجية كي تؤكد على الإيمان التالوثي بالآب والابن والروح القدس. راجع د. جوزيف موريس فلتس، تعاليم عقيدية في النصوص الليتورجية، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية، الفصل الثالث: ألوهية الروح القدس، أكتوبر 2004 ص4836.

الابن الوحيد له خصائص الله الآب¹، فهيّا بنا نستجمع أفكارًا أخرى بخلاف ما سبق أن قلناه، لكي نحاصر أقوال المعاندين الضعيفة والهزيلة، ونأتى بأقوال تثبت أنه يعمل نفس أعمال الله الآب وأيضًا بتلك التي توضح أنه هو الله وتبين أنه لا يحسب ضمن هؤلاء الذين هم بنين حسب النعمة، أو أنه يتحلى بمجد مكتسب، بل أنه إله حق لا ينقصه شيء عن ما هو للآب، وعلى هذا يدرك على أنه أرفع في كل من هو مخلوق.

إرميا: هذه يا صديقي، أمور جيدة، تستحق التقدير من الجميع.
كيرلس: هل تعتقد إذا يا صديقي أن أحدًا من المخلوقات قد ساهم في إتمام أمر تستطيع وحدها الطبيعة الفائقة على الكل، أن تتممه؟
إرميا: لا أعتقد ذلك.

كيرلس: بالصواب تتكلم. والطوباوى بولس يتحدث عن قدرة الله الآب على إقامة الموتى على أنها أمر فائق للطبيعة وغير مألوف بالمرّة وكما أعتقد يفوق كل حدود إمكانيات المخلوقات، وذلك عندما قال "لأن الناموس ينشئ غضبًا إذ حيث ليس ناموس ليس أيضًا تعدّ. لهذا هو من الإيمان كى يكون على سبيل النعمة ليكون الوعد وطيدًا لجميع النسل ليس لمن هو من الناموس فقط بل أيضًا لمن هو من إيمان إبراهيم الذي هو أب لجميعنا، كما

¹ ورغم السهولة في التأكيد من خلال آيات الكتاب المقدس على أن الابن الوحيد له خصائص الله الآب، إلا أن الهرطقة قد أساءوا فهم وتفسير هذه الآيات الأمر الذي أدى بهم إلى إنكار ألوهية الابن. ولقد سبق للقدّيس أثناسيوس أن تناول كل الآيات التي أساء الآريوسيون فهمها وقام بشرحها حسب إيمان الكنيسة الذي تسلّمته بالتقليد وذلك في مقالات ثلاثة بعنوان ضد الآريوسين، وهى المقالات التي تشير إليها باستمرار في هوامش هذا الكتاب إصدار مركز دراسات الآباء. ولقد اعتمد ق. كيرلس. كما جاء في المقدمة. على هذه المقالات في كتابه هذا "حوار حول الثالوث" غير أنه استخدم آيات إضافية. كما يتضح من كلامه هنا. ليثبت بها حقيقة ألوهية الابن المتجسد.

هو مكتوب أنى قد جعلتك أباً للأمم كثيرة، أمام الله الذي آمن به الذي يحيي الموتى ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة¹. هيا بنا إذاً. إن كنت ترى أن هذا صحيح. لنرى أيضاً المجد عينه الذي للابن، وسوف ترى مرة أخرى أن الابن ليس أقل من الآب، بل له نفس القدرات التي للآب. لأن بولس الرسول يقول لنا "لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيُحيا الجميع"². لأنه هو الحياة وليس مختلفاً عن (جوهر) الآب بل لهما نفس الجوهر. وغير ذلك فأنت تسمعه يقول في موضع آخر "لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء"³. ولهذا فلأن أعماله الإلهية قد أظهرت طبيعته ومجده فقد قال "إن كنت لست أعمل أعمال أبى فلا تؤمنوا بى، ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بى فآمنوا بالأعمال لكى تعرفوا وتؤمنوا أن الآب قى وأنا فيه"⁴، أم أن ذلك لا يعنى أنه

¹ رو 17:4-15.

² 1كو 22:15.

³ يو 21:5. انظر الشاهد رقم 1 ص 49 حيث أشار ق. كيرلس لنفس الآية.

⁴ يو 3837:10. يعلق ق. كيرلس على قول الرب "أنا في الآب والآب في" (يو 14:10) وأيضاً "أنا والآب واحد" (يو 10:30) بقوله: "إن ما يجعل الابن يقول هذا ليس فقط لأن الابن يرغب نفس الأمور كالآب وليس فقط لأنه يملك إرادة واحدة معه، بل ما يجعله هكذا هو أنه المولود الأصيل لجوهر الآب. فهو يقول إنه يريد ويتكلم ويملك نفس فاعلية الآب وبسهولة ينجز ما يريد مثلاً بفعل الآب وهكذا يُعترف به من كل ناحية أنه من نفس الجوهر مع الآب وهو ثمرة حقيقية لجوهره". شرح إنجيل يوحنا، المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية، القاهرة 2003م، ج 5 ص 159. وكما امتد تعليم ق. كيرلس عن وحدة الجوهر الإلهي للآب والابن إلى التعليم عن الأقانيم الثلاثة في الجوهر الواحد وذلك في تعامله مع الآية "كما أرسلنى الآب الحي وأنا حي بالآب" (يو 6:57) (انظر هامش 2 ص 35) نجده يقول في شرح (يو 3837:10): [إن وحدة الجوهر = تجعل الآب يرى في الابن والابن يرى في الآب ... رغم أننا ندرك الثالوث القدوس على أنه قائم في أقانيم ثلاثة لأن الآب هو الآب وليس هو الابن وأيضاً الابن هو الابن وليس هو الآب؛ والروح القدس هو الروح (وليس هو الآب أو

أراد أن يجعل نفسه معروفًا على أنه هو الله؟ كما لو أن شخصًا ظهر أن لديه القدرة أن يعمل أعمالاً مساوية لأعمال الله، لكان له بالضرورة نفس المجد، ولا يمكن ألا يكون هو الله، لأنني أعتقد أن ما نقوله يقود إلى هذه النتيجة.

إرميا: هذا يبدو واضحًا، لأنه لا يمكن أن نتصور أنه بينما يفخر بهذه الأعمال عينها، يكون هو نفسه ليس له المجد عينه.

كيرلس: وعندما تعلن لنا الكتب المقدسة بأن " كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي من فوق نازلة من عند أبي الأنوار الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران " ¹، فمن أين . حسب اعتقادك . تتوزع علينا الهبات الإلهية؟

إرميا: واضح أنها من عند الله الآب.

كيرلس: لكن المسيح أعطى للرسل القديسين السلطان كي يخرجوا الشياطين ويشفوا الأمراض وكل ضعف بين الناس ². والأمر الأعظم من كل هذا أنه أعطاهم السلطان حتى يقدرُوا أن يهزموا حتى الموت نفسه عندما حدثهم بكلام يليق به كإله " اشفوا مرضى، طهروا بُرْصًا. أقيموا موتى، أخرجوا شياطين " ³. كما أن يوحنا الناطق بالإلهيات يعترف بكل وضوح قائلاً " ومن ملئه نحن جميعًا أخذنا " ⁴. فهل تعتقد أنه توجد عطية صالحة وهبة كاملة ¹

الابن) ومع ذلك فلا يوجد بينهم أى إختلاف بل هم في شركة ووحدة الواحد مع الآخر [. انظر شرح إنجيل يوحنا، المرجع السابق ص158.

¹ يع 1:17.

² مت 9:35.

³ مت 10:8.

⁴ يو 1:16. انظر شاهد رقم 3 ص16 حيث استخدم ق. كيرلس نفس الآية. في إطار شرحه لإنجيل يوحنا وهنا يستخدمها ليثبت بها أن الابن ليس أقل من الآب بل هو واحد معه في الجوهر ويقول: [

غير أن نكون شركاء الروح القدس؟!²

إرميا: لا أعتقد.

كيرلس: انتبه إذا يا صديقي، كيف أنه يرسل من ملئه، روحه القدوس الذي هو واحد معه في الجوهر بدون أن ينفصل عنه، وعن طريق الروح القدس يصير لنا كل عطية صالحة³. فطالما أنه قد قام مُبطلًا الفساد ومحطماً قيود الموت فإنه جاء بنا مرة أخرى إلى القداسة معطياً للرسل جمال الطبيعة كما كانت عندما خلق الجنس البشري، ونفخ في وجوههم قائلاً: " *اقبلوا الروح القدس* " ⁴. إذاً فطالما أن كل عطية صالحة تأتي من فوق، من الآب وتوزع بواسطة الابن، الذي له السلطة الإلهية وليس كخادم⁵، فبأى طريقة إذاً لا

إذا كان الابن هو المله " لأن من ملئه نحن جميعاً أخذنا " فما هو مكانه الحقيقي وهو أقل من الآب كما يدعون؟ لأن الأشياء المختلفة تماماً لا يمكن مصالحتها ووضعها في وحدة. فكيف يكون الابن المله وفي نفس الوقت أقل من الآب؟ [شرح إنجيل يوحنا، مركز دراسات الآباء، القاهرة 1989م، ج1 ص29.

¹ وهذا ما تشدد عليه الكنيسة أيضاً في صلواتها الليتورجية عندما يصلى الكاهن في لحن H ḡgēph قائلاً: " محبة الله الآب ونعمة الابن الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، وشركة وموهبة الروح القدس تكون مع جميعكم ". انظر الخولاجي المقدس، طبعة دير البراموس 2002 ص323.

² 2كو13:14.

³ يع17:1. يشدد الآباء ومنهم أيضاً ق. أنثاسيوس على وحدة العمل لأقانيم الثالوث الواحد في الجوهر فيقول في سياق إستهاده بالآية " نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة وشركة الروح القدس مع جميعكم " (2كو13:13): [لأن هذه النعمة والهيبة تعطى في الثالوث من الآب بالابن في الروح القدس. وكما أن النعمة المعطاة هي من الآب بالابن، هكذا فإنه لا يكون لنا شركة في العطية إلا في الروح القدس]. الرسائل عن الروح القدس. المرجع السابق، الرسالة الأولى: 31.

⁴ يو22:20.

⁵ عن وصف الهراطقة للابن " بالخادم " الذي لا سلطة له يقول ق. كيرلس: [وعندما يسمع الهراطقة أن " كل شيء به كان " تأخذهم الحمى فيسرعون ويطلقون عليه اسم الخادم ويحلمون بأن الابن عبد

يكون واحدًا في الجوهر مع الآب الذي وَلَّده، بمعنى كيف لا يكون إلهًا بالحق¹، وليس مزيّنًا من الخارج بكرامات مثل اللوحات المرسومة؟

إرميا: لا يمكن أن يكون هكذا بأى طريقة من الطرق على ما أعتقد.
كيرلس: وهل حديثنا عن الإيمان غير كافٍ لكى يثبت بشكل قاطع أن الابن هو الله بالطبيعة؟

إرميا: ماذا تقصد؟
كيرلس: لأننا نؤمن بالمسيح، فإننا بهذا نقرب من الله الذي هو بطبيعته إله

وليس حر وعابد وليس الرب []. شرح إنجيل يوحنا، مركز دراسات الآباء، القاهرة 1989م، ج 1 ص 64.
ويُرد على هذه الأفكار ويقول: [وعندما يسمعون " وبغيره لم يكن شئ مما كان " لا يفكرون فيما يليق بعظمة وكرامة الابن. ولكن إذا كان الآب لا يخلق إلا بالابن أى بحكمته وقوته، والإنجيلي يقول لا شئ مما كان قد خلق بدون الابن فإن النتيجة النهائية أن الابن الوحيد هو مجد الله الآب (لأنه يُوجد كخالق بالابن) لأن الابن يعمل كل شئ ويُحضر من العدم إلى الوجود كل الكائنات []. المرجع السابق ص 46. ويتابع ق. كيرلس في الصفحات التالية من نفس المرجع بطرق عديدة دحض هذه التسمية وهذا الوصف. هذا ولقد فُتد ق. كيرلس زعم المعارضين بأن الروح القدس أيضًا ليس هو الله إذ أنه حسب تعاليمهم بفعل فينا ملء الآب والابن كخادم. انظر ص 19 من هذا الحوار وهامش (1) ص 20.
¹ يورد ق. كيرلس عدة حقائق لإثبات ألوهية الابن وأنه ليس أقل من الآب. ومن هذه الحقائق إرساله الروح القدس لتقدّيس البشر فيقول في موضع آخر: " إذا كان الابن أقل والآب أعظم فكل منهما بشكل مختلف يمنح لنا التقديس. يمنحه الابن بشكل أقل والآب بشكل أعظم. فإماذا عن الروح القدس؟ هل سيعمل عملاً مزدوجًا: أقل مع الابن وأعظم مع الآب؟ والذين سوف يُقدّسون بالآب سوف يُقدّسون بشكل كامل. أما الذين سيُقدّسون بالابن سوف يُقدّسون بشكل أقل. هذه غباوة عظيمة فالروح القدس واحد في كماله وفي تقدّسه وهو يُعطى مجانًا من الآب بواسطة الابن طبيعيًا. فليس الابن أقل من الآب الكامل. بل هو يعمل كل شئ مع الآب وله الروح القدس روح الآب الذي وَلَّده. وهو صالح وكامل وحر وله كيانه الخاص به مثل الآب تمامًا ". شرح إنجيل يوحنا، مركز دراسات الآباء، القاهرة 1989م، ج 1 ص 31.

حقيقي¹ ونبتعد عن ضلال تعدد الآلهة تاركين عبادة الكائنات المخلوقة ومتحررين من السجود لصورهم². ولهذا فالرسول بولس يكتب لأولئك الذين دعوا للمعرفة الحقيقية قائلاً " لذلك انكروا أنكم أنتم الأمم قبلاً في الجسد المدعويين غرلة من المدعو ختائاً مصنوعاً باليد في الجسد أنكم كنتم في ذلك الوقت بدون مسيح أجنيبين عن رعية إسرائيل وغرباء عن عهد الموعد لا رجاء لكم وبلا إله في العالم"³. وفي موضع آخر يكتب أيضاً " ولكن حينئذٍ إذ كنتم لا تعرفون الله استعبدتم للذين ليسوا بالطبيعة آلهة وأما الآن إذ عرفتم الله بل بالحرى عرفتكم من الله فكيف ترجعون أيضاً إلى الأركان الضعيفة الفقيرة التي تريدون أن تستعبدوا لها من جديد"⁴.

إذاً فطالما أن هؤلاء الذين كانوا بلا مسيح كانوا بلا إله وأنهم قد عرفوا الله عندما آمنوا وقبلوا الابن الذي قال " الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد"⁵، فكيف يكون من الممكن ألا يُعرف

¹ هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته (يو 3:17). الإيمان بالمسيح يدخلنا إلى معرفة الله الأب وشركة الروح القدس الحقيقية وهكذا نعتزف بأقانيم الثالوث المساوي في الجوهر. وهذا الإيمان يبعدنا عن ضلال تعدد الآلهة أو كما يقول ق. أنثاسيوس: " وإذاً يوجد ثالوث قدوس وكامل يُعترف بلاهوته في الأب والابن والروح القدس ... وهو مساو وغير منقسم في الطبيعة وفعله واحد ... وليس بأقل من هؤلاء الثلاثة تعتقد الكنيسة الجامعة لئلا تنزلق إلى أفكار اليهود المعاصرين الرديئة وإلى أفكار سابيلوس كما أنها لا تعتقد بأكثر من ثلاثة لئلا تتدحرج إلى تعدد الآلهة ". الرسائل عن الروح القدس. المرجع السابق. الرسالة الأولى: 28.

² تحدث ق. أنثاسيوس بالتفصيل عن ضلالات عبادات الوثنيين وما كانوا يفعلونه من أمور شائنة، انظر ق. أنثاسيوس. الرسالة إلى الوثنيين. ترجمة القمص مرقص داود. مكتبة المحبة 1981.

³ أف 2:11:12.

⁴ غلا 4:98.

⁵ يو 3:18. يشرح ق. كيرلس هذه الآية موضعاً أهمية الإيمان بالوهية الابن المتجسد إذ أنه هو الذي يدين وهو الذي يعطينا ألا ندان فيقول: [.. يكشف الرب عن مدى فداحة وخطورة جريمة الكفر به، إذ

أنه الله، وهو الذي يُمَجِّد منا ومن الملائكة بعبارات تكريم صادقة، كما أننا نؤمن أن جوهره يعكس كينونته، بمعنى أنه إله حق من إله حق؟ وإلا فقل لي كيف تفهم ما قصده الرسول بولس عندما كتب عنه قائلاً " *إن الله كان في المسيح مصلحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم واطعاً فينا كلمة المصالحة إذ نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا نطلب عن المسيح نتصلحوا مع الله* " ¹. فعندما يأتي شخص ما للمسيح فإنه يتصلح مع الله ومن خلال المسيح يتصلح العالم كله مع الله، وبالتالي كيف لا يكون من المضحك أن يعتقد هؤلاء أن الكلمة الذي أتى من الآب وهو باقٍ فيه، هو بعيد عن جوهر الآب؟

إرميا: سيكون بالتأكيد أمر مضحك لو فكروا هكذا.
كيرلس: ومن هو الذي تستطيع أن تقول عنه إن له سلطان على كل الخليقة وأنه يفوق كل الكائنات؟

إرميا: الله وحده بالطبع، لأن ليس غيره من بين الكائنات، يستطيع ذلك لأن داود يرنم قائلاً " *لأن الكل عبيدك* " ². وأيضاً يقول " *هلم نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا لأنه هو إلهنا ونحن شعب مرعاه وغنم يده* " ³.
كيرلس: حسناً قلت يا صديقي العزيز، لأنه واضح أن هذه الآيات تمجد

هو الابن وهو الوحيد الجنس لأنه إن كان الذي يهان يستحق الإيمان به، فكم بالحرى يستحق الدينونة ذلك الذي يحتقره، بسبب تعديه الرهيب وهو يقول " *من لا يؤمن به قد دينٌ إذ قد جلب على نفسه فعلاً الحكم العادل بالعقاب إذ يرفض عن وعي ذلك الذي يعطينا ألا ندان* ". انظر شرح إنجيل يوحنا، إصدار مركز دراسات الآباء، القاهرة 1995، ج 2 ص 27.

¹ 2كو 5: 2019.

² مز 91: 91.

³ مز 95: 76.

الله. لأنه ليس لأحد من بين الموجودات أن يدّعى أنه يوجد وسط الكائنات بمعنى أن يدّعى أنه يجلس وسط خليقته وأن يتجرأ على إخضاعها تحت سلطانه أو إن أراد أن يفعل ذلك، بدون أن يكون مُكلاً بمجد الملك، ألن نقول إنه يعرّض نفسه للإدانة والمحاكمة؟

إرميا: بالفعل.

كيرلس: وعلى ذلك فكيف يدعو الابن المؤمنين أنهم خرافه هو وليسوا خراف الآب؟ وذلك عندما قال " خرافى تسمع صوتى وأنا أعرفها فتتبعنى، وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدي ¹. فالقديس يوحنا الناطق بالإلهيات يخبرنا مؤكداً أن (الابن) قد جاء إلى خاصته وأنه سمى كل سكان الأرض، بل وكما أعتقد، كل الخليقة، خاصته، وأنه يعمل كل ما يعمل الآب لا كأنه أقل منه لكن كمن له سلطان وروبية حقيقية وليست غريبة عنه. لأنه في حديثه مع تلاميذه ومع الذين كانوا يتبعونه قال " إن الحصاد كثير والفعلة قليلون فاطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده ². وفي نفس الوقت الذي يُرجع فيه للآب تعيين فعلة للحصاد، فهو يكشف عن من يكون رب الحصاد وذلك حينما أعطى لتلاميذه امتياز نشر أسرار ملكوته. كما أن البشير لوقا يؤكد أن الحصاد هو له وذلك

¹ يو 10:2827. يستشهد ق. كيرلس بهذه الآية هنا ليثبت وحدة الجوهر الإلهي للآب والابن وأن كل ما يعمل الآب يعمل الابن أيضاً كمخلص. وفي موضع آخر يشرح هذه الآية لينتبه بها أيضاً ألوهية الابن واهب الحياة فيقول: [وكونه يعطى حياته فهو بين أنه هو "الحياة" بطبيعته وأنه يهب هذه الحياة من نفسه لا كمن ينالها من آخر]. شرح إنجيل يوحنا، المركز الأرثوذكسى للدراسات الأبائية، القاهرة 2003م. ج 5 ص 149.

² مت 9:3837.

عندما قال " الذي رفضه في يده وسينقى بيده ويجمع القمح إلى مخزنه"¹، بالإضافة إلى ذلك فإن الرسول بولس قدّمه على أنه هو رب وإله للمؤمنين عندما كتب قائلاً " الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات"². وأيضاً قال " إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له"³. فحينما يقول أحد القديسين أو عندما نصرخ كلنا لله قائلين " لك أنا خلّصني لأنني حفظت وصاياك"⁴. إذاً هل يستطيع الذين هم خاصة الآب أن يكونوا بنفس الكيفية خاصة المسيح إن لم يكن جوهر الواحد هو نفسه جوهر الآخر؟ إرميا: أتفق معك في هذا لأنه يوجد إله واحد ورب واحد، كما أن الألوهة والربوبية هما للجوهر الواحد للآب والابن.

كيرلس: إن ما تقوله هو حق. لأن الآب فيه كل ملء الربوبية والمجد كإله، كما أن الابن هو أيضاً رب وإله. فبدون الربوبية لن يكون الآب إلهًا ولا يكون الابن ربًا حقيقياً إن كان منفصلاً عن الألوهة الحقيقية حسب الطبيعة. ولهذا فإن الطوباوى بولس يربط بين الاسمين في وحدة واحدة، وذلك عندما يقول في إحدى المرات: إن الإنجيل هو إنجيل الله الآب وفي مرة أخرى يقول إن الإنجيل هو إنجيل المسيح. هل ترغب أن نأتى بشواهد كتابية تثبت بها ما نقول؟

إرميا: إنى أرغب جداً في هذا.

كيرلس: يقول " بولس عبد ليسوع المسيح المدعو رسولا المفرز للإنجيل

¹ لو 3:17.

² غلا 5:24.

³ رو 9:8.

⁴ انظر مز 119:56.

الله¹. وإذا ينسب لابن مجد الله إذ أنه قد وُلِدَ منه وهو كائن فيه ويُدرك دائماً معه، فإنه يذكر أيضاً " لكننا لم نستعمل هذا السلطان بل نتحمل كل شيء لئلا نجعل عائقاً لإنجيل المسيح "². وأخيراً فإنه لكي يشير إلى الاسمين أيضاً بسبب وحدتهما في الجوهر فإنه يكتب " ولكن بأكثر جسارة كتبت إليكم جزئياً أيها الاخوة كمنذُركم بسبب النعمة التي وهبت لي من الله حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم مباشرُ لإنجيل الله ككاهن ليكون قربان الأمم مقبولاً ومقدساً بالروح القدس "³. إذاً فإنجيل الله وإنجيل المسيح هما واحد. وكل ما نستطيع أن نقوله عن الله كإله نقوله عن الابن أيضاً، لأنه لو كان هناك شيء يقف كوسيط بينهما بحيث يجعل الآب والابن غير متساويين لما كان من الممكن أن نقول نفس الأقوال عن كل منهما، أم هل تعتقد يا إرميا أن الأمر ليس هكذا؟

إرميا: أنا بالطبع أوافقك فيما تقول.

كيرلس: غير أن بعض الشروحات المُضِلَّة تشير إلى أن هناك اختلاف بين الآب والابن (من حيث الجوهر) وتبين أن الأمور التي نؤمن أنها تخص الله الآب، لا تخص الابن أيضاً. فكيف يمكن أن يكون الإنجيل واحداً بالنسبة للآب والابن وكيف نفهم ذلك من تفاسيرنا الأصيلة إن لم يكن الابن هو الله حسب الطبيعة؟ ألا يكون هذا تضليلاً للذين يتعلمون؟ وألا يعطل ذلك معرفتهم للحقيقة؟

إرميا: إن ما نقوله هو حق.

¹ رو 1:1

⁴ 1كو 12:9

³ رو 15:16

كيرلس: فيولس الذي يخدم سر الله، أى الكرازة بالإيمان به لهؤلاء الذين لم يعرفوها بعد، كيف يستطيع أن يقول إنه خادم للمسيح وأنه مبشر بالمسيح وهو يجاهد من أجل مجد الله ويدعو نفسه أنه خادم لله؟ لأنه قال " بل في كل شئ نُظهر أنفسنا كخدام الله " ¹ وفي موضع آخر كتب لآخرين " أهُم خدام المسيح أقول كمختل العقل فأنا أفضل " ². فهل يوجد في هذا الكلام ما يفصل بين الآب والابن من حيث وحدة الجوهر؟

إرميا: لا أفهم ما تقول.

كيرلس: نستطيع بطريقة أخرى أن نبرهن على أنه من غير المقبول ألا نؤمن أن الابن هو إله بالطبيعة طالما أن الكتب المقدسة تعلمنا أن الكنيسة هي كنيسة الله وأيضًا هي كنيسة المسيح. فالطوباوى بولس يكتب لأهل كورنثوس قائلاً: " كونوا بلا عثرة لليهود واليونانيين وكنيسة الله " ³. كما يؤكد أن الابن سيحضر لنفسه الكنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن ⁴. لكن بينما يقول الله على لسان أحد الأنبياء أنه سيسكن وسيسير بيننا ⁵ فإن المسيح يحل في وسطنا. وكما تنبأت عنه النبوات منذ القديم فإنه يعمل بيننا كإله. لأنه وفق ما قد كتب فإن " موسى كان أُميئًا في كل بيته كخدام شهادة للعتيد أن يتكلم به، وأما المسيح فكابن على بيته وبيته نحن " ⁶.

إرميا: إذًا لا يوجد شئ على الاطلاق يمكن أن يعوقنا عن أن نؤمن إيمانًا

¹ 2كو 6:4.

² 2كو 11:23.

³ 1كو 10:31.

⁴ أف 5:27.

⁵ لاويين 26:12-10.

⁶ عب 3:65.

حقيقياً بأنه طالما أن الابن قد وُلد من جوهر الله الآب ذاته، فلا يمكن أن يُدرك على أنه مختلف عن الآب من حيث الطبيعة.

كيرلس: أصبت يا صديقي لأن الطوباوى بولس رأى أنه من الصواب أن نؤمن بهذا فقال " الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا معه كل شيء"¹. إذاً طالما أن الابن هو في الحقيقة ابن الله الآب، فهل يمكن أن تكون له طبيعة مختلفة عنه؟ وهل يمكن أن نتخيل وجود أى سبب منطقي يجعل ذلك الذي عرّفته اللغة² عينها بأنه ابنه الذاتى أو ابنه الخاص غريباً عنه من حيث الجوهر؟³

إرميا: أنا لا أعتقد ذلك.

كيرلس: كيف ذلك؟ ألا نقول إن مَنْ دُعوا ليكونوا أبناء الله هم عدد لا يُحصى؟

إرميا: بالتأكيد، لأنه مكتوب "أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلى كلكم"⁴.

¹ رو 8:12.

² يقصد بقول الكتاب: " الذي لم يشفق على ابنه"، حيث إن النص اليونانى يَرِد به تعبير ابنه الخاص أو الذاتى " fdiōu Ufoā".

³ هذا التعبير "ابنه الذاتى أو ابنه الخاص" سبق أن إستعمله وكرره كثيراً ق. أثناسيوس وذلك في إطار دفاعه عن ألوهية الابن. وهنا يتضح أيضاً تأثر ق. كيرلس بتعاليم ق. أثناسيوس وبكتاباتة وحتى بسؤاله وبتعجبه ممن يقول إن الابن غريب عن جوهر الآب عندما كتب ق. أثناسيوس: [متى إذا كان الله موجوداً بدون ما هو خاص به ذاتياً؟ أو كيف يظن أحد أن ما هو خاص به ذاتياً هو غريب ومن جوهر مختلف]. انظر المقالة الأولى ضد الآريوسيين، إصدار مركز دراسات الآباء، الطبعة الثالثة، القاهرة 2000 فقرة 2019.

⁴ مز 6:82. يستخدم ق. كيرلس نفس هذا المزمور في شرحه للآية " كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان (يو 1:3) وذلك لإيضاح أن الابن هو بالطبيعة خالق مع الآب وهو من جوهر الآب فيقول: [يذكر الإنجيلى الكرامة الإلهية الخاصة بالابن لكى يوضح بشكل أكيد أنه واحد في الجوهر

كيرلس: فلو ءءراً ءءص وأءء واءءاً أو اءءنن من ببن هولاء وءعاها ابنبن ءاصبن لله الآب ألا بكون مسءءقاً لءزاء مَن بءرف ءمال الءقبة؟

إرمبأ: أوافق لأن ما ءقوله صواب.

كيرلس: وإن أردء أن أءرف السبب فب أنه ببنا كءرون قء ءعوا آلهة وأبناء إلا أن ءعببر (الابن) "الءاؤب" أو "الءاص" ببسب ءرفباً وبالفعل لواء فقط، فهل ءسءطبع أن ءوابنب؟

إرمبأ: سأقول إن هولاء بالءأكب صاروا أبناء بسبب نوالهم عطفبة المءبة السماوبه بءعوءهم للءبئب ببنا الابن لبس كءلك لءنه هو ابن ءقبقب وءاؤب لله الآب وله نفس الطببعة الءبب هب أرفع وأسمب من طببعة الكل.

كيرلس: إن كان الابن هو ابن ءاؤب لله فهل بكون ما هو ءاؤب لله هو إله، أم هو مءلوق، أم ماذا؟

إرمبأ: هءا أبضاً أمر ءبر مشكوك فبه بالمرة لأن ما هو ءاؤب (ءاص)

مع الله الءب ولاء وأن كل ما بءص الآب بءص الابن أبضاً ولءلك ببب أن نءءء أنه إله الءق، ولبس كمَن نال لقب الألوهبة الءب ءعطب بالنعمة وءءها ءسب الكلمات " أنا قلت أنكم آلهة وبنبب العلب كلكم " أما هو فءبر ءلك ءماماً، لأن كل شئ به كان [. ءرف إنءبب بوبنا ء1، مركز ءراساء الآباء، القاهرة 1989م، ص60. وءءما بءءرض لءرف المعنب الءبب وصف به القءبب بوبنا الابن بأنه " النور الءقبقب " فإنه بعود لإسءءام نفس المزمور السابق لبببب الفرق الءهرى ببب كون الابن هو النور الءقبقب وببب كون الءلامبب نوراً للعالم كما ءعاهم الرب (مت14:5)، ءبب إءعب المعارضون أنه لا بوبء فرق ببب الابن وباقب المءلوقات ولءء أءابهم ق. كبرلس قائلأ: [نحن أبناء الله بل ءعبنا آلهة فب الأسفار الإلهبة ءسب المءءوب " ألم أقل أنكم آلهة وبنبو العلب كلكم " هل بعبب هءا أن ءءءلب عن كباننا ونرفع إلى ءو اللاهوء ءبر المنطوق به وأن نءلع الابن الكلمة من بئؤته ونءلس نحن فب مكانه مع الآب ونءعل مءبة الءبب أكرمنا ءزراً للءفر؟ ءاشا لله فالابن هو كائن ءبر مءءبفر. أما نحن فبالءبئب صرنا أبناء وآلهة بالنعمة ءبر ءاهلبن مَن نحن، وعلب نفس القباب لا نؤمن أن القءبببب هم النور أما النور الءقبقب ... فهو الءب بنبب كل إنسان آء إلى العالم [. المرجع السابق ص103.

في الله هو الألوهة كما أنه بالتأكيد أن ما هو ذاتي في الخليفة هو أنها مخلوقة.

كيرلس: وأيضًا إن اعتقد شخص ما أن الخليفة أو ما هو مخلوق هو خاص . حسب الطبيعة . بالله، فإنني أعتقد أن الأمر الأكيد هو أن نتبع طريقة التفكير العكسية، وحينئذ فعندما نقول إن الألوهة تمثل ما هو ذاتي (خاص) بالخليفة، فهذا لا يكون خطأً. غير أننا لا يمكن أن نؤمن بهذا. كما أننا بسبب هذه الأفكار المنحرفة لابد أن نفكر بطريقة سليمة ونؤمن أن الابن هو ابن ذاتي (خاص) لله الأب وهو لا يحصى ضمن من نالوا التبني بل هو إله من إله¹. كما أنه لا يمكن التفريق أو الفصل بين من هم من جنس واحد ونوع واحد في طبيعة طريقة وجودهم ومرتبطين معًا في وحدة كاملة (حسب الجوهر). فمثلاً المفهوم والتعريف الذي يحدّد جوهر الإنسان لا يمكن إلا أن يكون واحدًا للجميع. إذًا فالابن ليس إلهًا من طبيعة أخرى غير طبيعة ذلك الذي ولّده. فهو إله حقيقي طالما دعي ابنًا ذاتيًا (خاصًا)² لله الحقيقي حسب الطبيعة. وهو يختلف بالتأكيد عن كل هؤلاء الذين صاروا أبناء بالتبني كما أن له نفس المجد الحقيقي الذي لله.

إرميا: بالصواب نتكلم.

رأس كل رجل هو المسيح ... ورأس المسيح هو الله: كيرلس: وهناك شاهد آخر من الكتاب المقدس يشدّد على وحدة الجوهر بين

¹ كما نردد في قانون إيمان نيقية . القسطنطينية عن الابن . وكلمة الله أنه " إله حق من إله حق " .

² تعبير [ابنًا ذاتيًا (خاصًا)] له مدلول لاهوتي عميق يوضّح ويشدّد على العلاقة الجوهرية للابن بالأب وقد شرح القديس أثناسيوس أبعاد هذا التعبير بإسهاب في مقالته الأولى ضد الآريوسيين فقرات 16.14.

الآب والابن لأن بولس الرسول يقول: " رأس كل رجل هو المسيح وأما رأس المرأة فهو الرجل، ورأس المسيح هو الله " ¹. لأنى أعتقد أنه يقصد بهذه الآية أن يوضّح وحدة الجوهر وأن الابن قد وُلد بالحقيقة من نفس هذا الجوهر ².
إرميا: ماذا تقصد؟.

كيرلس: هل تعتقد أنه يجب أن نفحص بالتدقيق هذه الآية؟ قل لى ما الذي لم تفهمه أو ما الذي يبدو لك غريباً في هذه الآية.
إرميا: نعم، يقولون، إن هذا الكلام يجرد الابن من أن يكون واحداً مع الله الآب.

كيرلس: كيف، هل تستطيع أن تجاوبنى؟

إرميا: بالتأكيد، هم يقولون إن كان الرجل هو رأس المرأة . بسبب أن له نفس طبيعتها وجوهرها . مع أنه يعتبر أنه يفوقها لأن الرأس هو عضو مكرم جداً وأعظم أعضاء الجسد . ورأس الرجل هو المسيح، الأمر الذي يعنى أن هناك (تطابق) تشابه بين طبيعته وطبيعة المخلوقات مثلما أن طبيعة الرجل والمرأة هي واحدة. إذاً كيف يمكن أن يقال عن الابن أنه هو الله وبالحرى إله حقيقى أو كيف يمكن أن يكون واحداً مع الآب في الجوهر طالما أنه يحسب من بين المخلوقات حتى ولو كان له مكانة الرأس في الجسد، لأنهم يقولون إنه متفوق على البشر من حيث الكرامة؟

كيرلس: يا لها من مقدرة فعلية على التفوه بكلام غير لائق!! يا له من

¹ 1كو 3:11.

² ربما كان القديس كيرلس هو الوحيد من بين آباء الكنيسة المعلمين، الذي أعطى لهذه الآية مثل هذا التفسير الذي يشدد به على وحدة الجوهر بين الآب والابن.

حديث عنيف وهجومى ومزيّف ذلك الذي يتحدّث به أعداؤنا!! لأنهم يجدّون تجديفًا واضحًا لأنهم يدّعون أن الابن هو مخلوق بواسطة الله الآب. غير أننا سنتحدّث عن ذلك الأمر في الوقت المناسب وسنتناوله بالبحث من جهة الفكر واللغة. غير أنى أتعجب كثيرًا لأمر سأذكره الآن لأن هؤلاء الجهلاء قد وقعوا في خطأ وبدرجة ليست أقل من المرات السابقة، من جهة التفكير السليم. لأنه يقال عن المسيح أنه هو رأس الرجل بسبب الارتباط الناتج عن العلاقة الطبيعية¹ (معنا) ونحن لا ننكر ذلك لأنه صحيح ومؤكّد. فطالما أن الله هو رأس المسيح، فما هو الأمر الذي يعترضنا، أيها الكرام أو ماذا يمنعنا من أن نفكر أنه طالما أن الابن هو من نفس جوهر المخلوقات لأنه يدعى رأس الرجل، أن نتجرأ بأن نحصى الآب أيضًا من ضمن المخلوقات طالما أنه يُدعى رأس الابن حيث إن الابن هو مخلوق ومصنوع حسب ما تقولون؟ لأنه من الواضح أنهم يعتقدون أن ما يهزون به هو كلام حسن بغير عيب، غير أنى أعتقد أن ثقل تجديفهم قد أضناهم ومع ما يبدو من قسوة إلا أنهم يتبعون طرقًا طفولية في التعامل مع أمور هامة كهذه.

إدّا فمع رفضنا وتركنا لهذه الأمور والقائها في البحر، هيا بنا نفكر فيما ينبغي أن نفكر فيه. فنحن نقول بالفعل، إن الرجل هو رأس المرأة لأن المرأة خُلِقَتْ في البدء من جنبه وعلى صورته كما خلق هو على صورة الله كما جاء في الكتب². كما أننا تعلّمنا أن رأس الرجل هو المسيح، الذي هو

¹ يقصد أن المسيح له المجد إتخذ لنفسه طبيعة بشرية مثل طبيعتنا البشرية تمامًا ما عدا الخطية وحدها.

² تك 1: 26.

الأصل الثاني للجنس البشرى وبكر البشرية¹ التي تقدست بالروح فنالت عدم الموت ولهذا السبب عينه يدعى المسيح آدم الثاني². ونحن نقبل بل ونؤمن أن رأس المسيح هو الآب لأنه مساوٍ له في الجوهر ومتحد معه حسب الطبيعة. ولهذا يُدرك على أنه هو الله مع أنه ظهر في الجسد وصار كواحد منا. والمسيح ليس إلهاً فقط وليس إنساناً فقط، بل أنه . حسب التدبير . قد وحد في شخصه طبيعتين مختلفتين هما اللاهوتية والناسوتية في إتحاد لا يدركه العقل ولا يدنى منه ولا يُعبر عنه باللسان³. لأن المسيح هو إله وإنسان معاً⁴، فالآب السماوى هو مصدر (نبع) وأصل أقدومه وهو كائن معه وأزلى

¹ لقد أساء الآريوسيون فهم الآية " بكر كل الخليقة " كو 1:15. وفسروها خطأ على أن الابن وكلمة الله هو مخلوق. لهذا أعطى ق. أنثاسيوس الشرح المستقيم لهذه الآية مدافعاً عن ألوهية الابن المتجسد موضحاً أنه " دُعِيَ بكر الخليقة ليس بسبب نفسه كما لو كان مخلوقاً ولا بسبب أن له علاقة ما من جهة الجوهر مع كل الخليقة، بل لأن الكلمة . من البدء . عندما خلق المخلوقات تنازل إلى مستواها حتى يتيسر لها أن تأتى إلى الوجود. لأن المخلوقات ما كان ممكناً لها أن تحتل طبيعته التي هى بهاء الآب الخالص. لو لم يتنازل بحب الآب للبشر ويعضدها ويمسك بها ويحضرها إلى الوجود " . انظر الشرح المطول لهذه الآية في المقالة الثانية ضد الآريوسيين، مركز دراسات الآباء، القاهرة 2004 الطبعة الثالثة، فقرات 66.62.

² انظر التسبحة اليومية: ثيوطوكية الأربعاء. وأيضاً ق. كيرلس: الجلافيرا: تعليقات على سفر التكوين.

المقالة الثالثة. EPE. Tom. 3. s. 235

³ يدافع ق. كيرلس بكل قوة عن عقيدة الكنيسة فيما يخص طبيعة المسيح الكلمة المتجسد وذلك ضد هرطقة نسطور الذي علم بوجود طبيعتين منفصلتين وأكر أن العذراء هى والدة الإله. انظر رسائل ق. كيرلس إلى نسطور ويوحنا الأنطاكي ثلاثة أجزاء، إصدار مركز دراسات الآباء. القاهرة 1988، 1989، 1995م.

⁴ وفي موضع آخر من هذا الحوار عبّر ق. كيرلس عن إيمان الكنيسة بهذا بقوله: " ونحن نرى أن الابن واحد من اثنين إذ فيه التقت الطبيعتان الإلهية والإنسانية معاً واتحدنا بشكل غير موصوف ولا يُعبر عنه. وبكل تأكيد نحن لا نعى أن كلمة الله قد تحول إلى الطبيعة الجسدية الأرضية ولا الجسد تحول إلى طبيعة الكلمة ... فكل منهما يبقى في خصوصيته ولكنهما يعان في وحدة تامة لا تتفصل " . المرجع السابق. الحوار الأول ص39.

معه بدون أن يكون الآب سابقًا على الابن زمنيًا¹. طالما أن الرأس (الآب) كائن مع مَنْ دُعِيَ رأسًا (الابن)، ومن جهة أخرى فالمسيح مرتبط معنا من حيث طبيعته البشرية. فعندما نقول إن الله هو رأس المسيح وهو كذلك بدون شك، كيف لا يكون إلهاً ذلك الذي أصله هو الألوهة الحقيقية وله نفس جوهر من ولده؟ لأنه لا بد أن ندرك أن الرأس هي من نفس طبيعة باقى الجسد. لكن إن كانوا يعتقدون أن الكلمة الذي وُلِدَ من الله الآب لا بد أن يخرج خارج نطاق الألوهة ويحسب ضمن المخلوقات فليسمعوا جيدًا هذا القول "اجعلوا الشجرة جيدة وثمرها جيدًا أو اجعلوا الشجرة ردية وثمرها رديًا لأن من الثمر تعرف الشجرة"².

إرميا: لقد كان شريك وافيًا.

كيرلس: إنه دليل واضح على حماقتهم التي فاقت كل حدود أنهم يعجبون بالشجرة لأنها جيدة وأصيلة بينما يصنّفون الثمرة بأنها من طبيعة أخرى. فالإله يلد بالضرورة إلهاً. أم سنقول إن الأمر ليس كذلك؟
إرميا: أنا على الأقل أوافقك فيما تقول.

رائحة المسيح الذكيّة فينا هي شهادة لألوهيته:

كيرلس: وكيف لا يكون إلهاً وبالحرى إلهاً حقيقياً مَنْ بواسطته، وبواسطته وحده يستطيع المرء أن يعرف أن الآب هو إله حق حسب الطبيعة؟³ لأن

¹ هذا ما كان يعلم به أريوس وسجله في كتابه "تاليا" أى المأدبة الأدبية وقد أورد ق. أنثاسيوس بعضاً مما ورد في التاليا في بداية المقالة الأولى ضد الأريوسيين فقرة 5.

² مت 12: 33.

³ كانت من نتائج تجسد الابن وكلمة الله هو القضاء على الموت وعلى فساد الطبيعة البشرية وأن يعرف البشر عن الإله الحقيقي، عن الله الآب. انظر ق. أنثاسيوس. تجسد الكلمة، ترجمه عن اليونانية

بولس الرسول يكتب لهؤلاء الذين آمنوا " لكن شكر الله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح كل حين ويُظهر بنا رائحة معرفته في كل مكان لأننا رائحة المسيح الزكية لله"¹. فعندما تظهر رائحة الله الآب الذكيّة من خلال المسيح، وتصبح معروفة بواسطته، كيف تشك في أن هذا يجب أن يحدث؟ لأنه في المروج والبساتين تنمو الأشجار والزهور في مواسمها، كأشجار التفاح مثلاً وزهور السوسن. إذًا يا صديقي هل من الممكن أن يكون لثمار التفاح . وبطريقة طبيعية . رائحة السوسن أو أن يُغيّر التفاح رائحته لرائحة زهور السوسن أو عنهما يُنزع إلى الأبد ما يميّز كل منهما؟

إرميا: لا يمكن أن يتم هذا بأى طريقة لأنه ستقيح من كل منهما رائحته. كيرلس: إذًا فكيف يقدر المسيح أن يكون هو رائحة المعرفة الحقيقية لله الآب ولا يُصدّق أنه صَدَر من الألوهة الحقيقية؟ لأنه قد ثبت أن كل واحد يُعطى ما هو حسب طبيعته، وكيف يمكن لرائحة الألوهة حسب الطبيعة أن تُعطى بواسطة مخلوق له طبيعة مختلفة عن طبيعة الله؟ كما أنه لا يمكن للمرء العاقل أن يصدّق أن رائحة الألوهة توجد في طبيعة المخلوقات لأن هذا سيكون فكرًا أحمقًا. وهكذا فإننا لا نستطيع أن ننسب إلى الألوهة الفائقة غير المولودة أنها ستأتى لنا بابتين ذو طبيعة مختلفة عنها، عوضًا عن ابن فيه رائحة الألوهة الفائقة. لأن الابن الوحيد وُلِدَ . بطريقة لا يُعبر عنها . من جوهر الله الآب. ولهذا فإن كنيسة الأمم تتاديه كعريس قانلة " اسمك كالطيب

وتعليقات د. جوزيف موريس فلنس، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، فصل 7:15

ص45.

¹ 2كو2:14-15

المسكوب، لهذا أحببتك العذاري..¹ كما أننا أيضًا عن طريقه وبواسطته قد قَبَلْنَا ونلنا رائحة معرفة الآب.

إرميا: أتفق معك لأنه واضح أنك تتكلم وتفكر بالصواب.
كيرلس: وبطريقة أخرى يمكن أن نبرهن على أن الابن هو الله وأنه وُلِدَ من الله مع أنه يمكننا أن نتوقف عن الحديث هنا.

إرميا: بأى طريقة تقصد؟
كيرلس: قل لى هل من اللائق أن أى كائن من الكائنات يمكن أن يوزع كل ما تملك الطبيعة الإلهية وحدها أن تهبه؟

إرميا: ليس من اللائق إطلاقًا.
كيرلس: بالتالى فمن الطبيعي أن مَنْ له القدرة على إتمام هذا العمل، أن يكون في العلا، في قمة درجات المجد اللائق بالله؟

إرميا: وكيف لا يكون هكذا؟
كيرلس: إن السلام هو عطية إلهية وهبة سماوية ويأتى إلينا بتفضل من الله كما يصرخ إشعياء النبی قائلاً " يا رب تجعل لنا سلامًا لأنك كل أعمالنا صنعتها لنا. يا رب لا نعرف آخر سواك نحن ندعوك باسمك "².

إرميا: بالفعل هذا ممكن.
كيرلس: إذًا فالسلام هو ثمرة فعل سماوى وهو عطية بالفعل كما قلت سابقًا لا يهبه أى كائن مخلوق بل فقط الله حسب الطبيعة .. ولهذا فإن إشعياء قد قال بأنه يعرف الله وحده ولا يعرف آخر سواه.

¹ نشيد الأثناس 3:1 (س).

² إش 13:12:26 س.

إرميا: هذا حقيقي.

كيرلس: انتبه إدًا، إن الكلمة المولود من الآب هو الضابط للكل، وهو المانح لما يعطيه الله الآب لنا. لأنه قال لتلاميذه القديسين " سلامى أنا أعطيكم، سلامى أترك لكم "¹. وقال إن هذا السلام هو سلامه لأنه بالفعل هو سلام يُعطى من الله وحده وليس بأى طريقة أخرى. كما أن بولس الطوباوى يقول " نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح "². فقل لي إدًا: ذاك الذي هو مع الله الآب، يهب ويُعطى ويأتى بنفس المجد غير المتغير والعظمة، كيف يكون من الممكن أن ينقص عنه في المجد، أو كيف لا يكون مساويًا ومشابهاً في كل شئ لذلك الذي ولده؟

إرميا: صحيح.

كيرلس: تعال لنفحص أمراً آخر.

إرميا: ما هو؟

كيرلس: ألا ترى أنه إن تبعنا تعاليم القديسين³ فإنه من المؤكد أن وصولنا إلى الحقيقة سيكون أسهل وسيفقدنا هذا إلى ما يسر الله وإلى معرفة ما أوحى به عن الابن بواسطة الروح القدس؟

إرميا: ماذا يعنى هذا؟

¹ يو 14: 27.

² رو 1: 7.

³ إيتاع تعاليم القديسين وأسفار الكتاب هو الذي يضمن سلامة الإيمان المسلّم مرة، ولهذا نجد أن القديس أثناسيوس يتسأل عن مصدر تعاليم الهرطقة بقوله: " فمن هو الذي سلّم هذه الأمور إليهم؟ ومن هو الذي علّمهم؟ فيالتأكيد لم يتعلّموا هذا من أحد الأسفار الإلهية، بل من فيض قلوبهم خرج هذا الجنون ". الرسائل عن الروح القدس. المرجع السابق. الرسالة الثالثة: 5.

كيرلس: يعنى أن الابن هو الله بالحقيقة حسب الطبيعة. ولهذا فإن المطوب بولس قد قال عن الله الأب: "الله ابو ربنا يسوع المسيح الذي هو مبارك إلى الأبد يعلم أنى لا أكذب"¹. وبعد ذلك مباشرة يكرم الابن ويمجده بنفس الكلام ويدون أى تردد لأنه يعرف أنه هو الله الحقيقى حسب الطبيعة فيقول لليهود: "فانى كنت أود لو أكون أنا نفسى محروماً من المسيح لأجل اخوتى وأحبائى حسب الجسد الذين هم إسرائيليون ولهم التبني والمجد والعهد والاشترار والعبادة والمواعيد ولهم الآباء منهم المسيح حسب الجسد، قدام عبيدك وبنوك".²

¹ 2كو 11: 31.

² رو 9: 53.

من الحوار حول الثالوث

" إرميا: لكن إن قالوا إنه لو قبلنا بوجود ثلاثة أقانيم، فإنه سيمكن أن نفهم حينئذ أن الألوهة مثلثة (أى يوجد ثلاثة آلهة).

كيرلس: بالنسبة لنا فإن الحقيقة الإلهية تعلّمتنا أن الأمور ليست هكذا. لأننا قد تعمّدنا باسم الآب والابن والروح القدس، وبالطبع لا نقول إننا نؤمن بثلاثة آلهة، لكن بألوهة واحدة ممجّدة في الثالوث القدوس. فلماذا إذاً تتسرع محاولاً أن تخضع تلك الأمور التي تفوق العقل لأفكار بشرية، تلك الأمور التي أعتقد أنها يجب أن يُنظر إليها فقط بالإيمان الخالي من كل شك؟ لأن التساؤل عن ماهية الثالوث وعن طبيعة الألوهة هو أمر غير لائق بالمرة ويدل على عدم التقوى. وعلى عكس ذلك فإن التقوى هى أن نرغب في أن نفكر بطريقة سليمة كيف أننا نسجد للثالوث القدوس والإله الواحد. أتوافق إذاً يا إرميا على أننا نفهم هذه الأمور ونؤمن بها بطريقة صحيحة، بينما المخالفون يحاولون بكل الطرق أن يخترعوا أموراً غريبة وأفكاراً شاذة لا تخطر على فكر أحد؟

إرميا: صحيح، وأنا أعرف أنهم يحاولون ذلك لكن كيف يكون الله الذي نؤمن به واحداً بينما نقول إن لكل من الآب والابن أقنومه الخاص؟

كيرلس: إن ما يساعدنا في فهم هذا الأمر هو أن نأخذ في اعتبارنا حقيقة وحدة الجوهر، تلك الوحدة التي بها يكون للأقنومين جوهر واحد، مع حفظ كل ما يخص كل منهما كأقنوم وألاً تُنسب الإزدواجية إلى الطبيعة البسيطة ولا حتى بسبب الخوف أننا ربما نخدش بساطة الطبيعة عندما نتحدث عن أقنومين".

فهرس لشواهد الآيات الكتابية الواردة بالهوامش

أولاً: العهد القديم

8.....مز 32:18(س)	سفر التكوين: الصفحة
59.....مز 81:6، 7(س)	تك 1:26.....27، 66، 86
82.....مز 82:6	تك 1:27.....27، 62
77.....مز 95:7، 6	تك 11:7.....27
78.....مز 119:56	سفر الخروج:
77.....مز 119:91	خر 3:13.....34
30.....مز 103:5	خر 23.....34
سفر نشيد الأنشاد:	خر 23:18-23.....34
89.....نش 1:3س	خر 28:9.....59
سفر إشعياء:	سفر اللاويين:
90.....إش 26:13، 12(س)	لا 26:10-12.....81
6.....إش 41:4(س)	سفر التثنية:
41.....إش 50:6	تث 1:6.....45
46.....إش 52:6	تث 6:4.....6
سفر إرميا:	تث 6:7.....1
38.....إر 23:16	تث 18:18.....40
سفر يونس:	تث 32:32.....2
39.....يو 1:5	تث 32:39.....6
سفر باروخ:	سفر المزامير:
8.....با 36:38	مز 2:6.....39

ثانيًا: العهد الجديد

يو 6:57.....49	إنجيل متى: الصفحة
يو 8:19.....35	مت 3:11.....68
يو 10:28-27.....77	مت 5:18.....45
يو 10:30.....15	مت 5:27.....37
يو 10:35-36.....58	مت 9:35.....72
يو 10:37-38.....71	مت 9:37-38.....77
يو 17:3، 6.....75	مت 8:10.....72
يو 11:25.....47	مت 10:20.....68
يو 14:6، 37.....58	مت 12:31-32.....8
يو 14:8.....14	مت 12:33.....87
يو 14:109.....15	مت 24:35.....45
يو 14:10.....63	مت 12:34.....3
يو 14:23.....23	إنجيل مرقس:
يو 14:27.....90	مر 3:7.....8
يو 15:26.....20	إنجيل لوقا:
يو 17:6.....35	لو 3:17.....78
يو 20:22.....73	إنجيل يوحنا:
الرسالة إلى أهل رومية:	يو 1:12.....62
رو 1:1.....79	يو 1:16، 16.....73
رو 1:7.....90	يو 3:18.....76
رو 4:15-17.....71	يو 4:6.....39
رو 8:9.....78	يو 5:21، 49.....71
رو 8:109.....68	يو 5:22.....37

75.....98:4غلا	81.....12:11:8رو
31.....19:4غلا، 30،	61.....15:8رو
78.....24:5غلا	67.....29:8رو، 30،
الرسالة إلى أهل أفسس:	91.....53:9رو
31.....13:1أف	79.....16:15:15رو
16.....23:1أف	الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس:
75.....12:11:2أف	59.....65:8كو1
25.....6:4أف	79.....12:9كو1
31.....30:4أف	44.....21:20:9كو1
81.....27:5أف	81.....31:10كو1
الرسالة إلى أهل فيليبي:	84.....3:11كو1
54.....11:6:2في	71.....22:15كو1
52.....9:2في	16.....28:15كو1
32.....8:7:3في	الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس:
الرسالة الأولى إلى تيموثاوس:	88.....15:14:2كو2
54.....5:21تيمو	76.....20:19:5كو2
48، 46، 36.....16:6تيمو	80.....4:6كو2
الرسالة إلى العبرانيين:	56.....5:10كو2
45.....1:1عب	80.....23:11كو2
26.....3:1عب، 15،	91.....31:11كو2
81.....65:3عب	73.....14:13كو2
رسالة يعقوب:	الرسالة إلى أهل غلاطية:
73، 72.....17:1يع	40.....24:3غلا
46، 36.....12:4يع	62، 61.....6:4غلا

رسالة بطرس الثانية:

2بط 1:4.....19

رسالة يوحنا الأولى:

1يو 5:20.....8، 52

1يو 4:13.....19، 69

فهرس لأهم الكلمات والأفعال

,80 ,79 ,78 ,77 ,76 ,75	(أ)
,86 ,85 ,84 ,83 ,82 ,81	
91 ,90 ,88	ابن.....4 ,8 ,9 ,36 ,52 ,55
,6 ,5 ,4 ,3 ,2 ,1.....الابن	,66 ,62 ,61 ,60 ,59 ,58
,14 ,12 ,11 ,10 ,9 ,8 ,7	89 ,83 ,81 ,76 ,67
,22 ,20 ,19 ,17 ,16 ,15	آدم.....86 ,71
,30 ,28 ,26 ,25 ,24 ,23	اسم.....52 ,35 ,12
,36 ,35 ,34 ,33 ,32 ,31	74 ,58 ,57 ,56 ,55 ,53
,43 ,42 ,41 ,39 ,38 ,37	اسمًا.....56 ,54 ,53 ,52
,49 ,48 ,47 ,46 ,45 ,44	58 ,57
,55 ,54 ,53 ,52 ,51 ,50	الاسم.....56 ,54 ,52 ,11
,61 ,60 ,59 ,58 ,57 ,56	أقنوم.....69 ,66 ,26
,67 ,66 ,65 ,64 ,63 ,62	أقنومه.....87 ,26 ,14
,74 ,73 ,71 ,70 ,69 ,68	الأقنوم.....69
,80 ,79 ,78 ,77 ,76 ,75	الآب.....6 ,5 ,4 ,3 ,2 ,1
,86 ,85 ,84 ,83 ,82 ,81	,14 ,13 ,12 ,11 ,10 ,9 ,7
91 ,89 ,88 ,87	,20 ,19 ,18 ,17 ,16 ,15
,54 ,21 ,8.....الأرض	,26 ,25 ,24 ,23 ,22 ,21
77 ,59	,34 ,33 ,32 ,31 ,30 ,28
,10 ,9 ,4 ,1.....الإلهية	,42 ,39 ,38 ,37 ,36 ,35
,19 ,18 ,17 ,15 ,14 ,12	,50 ,49 ,48 ,46 ,45 ,43
,26 ,25 ,24 ,23 ,22 ,20	,56 ,55 ,54 ,53 ,52 ,51
,48 ,43 ,37 ,36 ,35 ,27	,62 ,61 ,60 ,59 ,58 ,57
,60 ,58 ,57 ,55 ,51 ,50	,68 ,67 ,66 ,65 ,64 ,63
,71 ,69 ,66 ,65 ,64 ,63	,74 ,73 ,72 ,71 ,70 ,69
90 ,89 ,87 ,82 ,74 ,72	

الألوهة.....2, 9, 10,	الحقيقية.....9, 17, 66,
12, 13, 17, 22, 25, 60,	88, 87, 78, 75
88, 87, 83, 78	الحكمة.....5, 13, 27, 55,
الإنسان.....8, 25, 26,	67, 60
27, 28, 30, 38, 50, 54,	الحياة.....6, 27, 37, 47,
62, 63, 66, 67, 83,	48, 49, 50, 51, 52, 71,
التجسد.....54, 56,	77, 75
الترابى.....62	الحي.....49, 52, 71
التمثال.....29	الخادم.....20, 74
الثالوث.....2, 3, 4, 5, 7,	الديان.....36, 37, 38, 46
10, 11, 12, 13, 15, 18,	الروح القدس.....2, 3, 4,
22, 26, 28, 33, 35, 39,	5, 7, 10, 11, 13, 18, 19,
50, 54, 61, 66, 70, 72,	20, 21, 22, 23, 24, 25,
73, 75	26, 27, 31, 33, 58, 59, 61,
الجوهر.....3, 4, 9, 10, 11,	62, 64, 65, 67, 68, 69,
12, 14, 17, 20, 21, 23,	73, 74, 75, 90, 91
26, 27, 28, 31, 35, 36,	السماء.....13, 27, 44,
41, 43, 49, 51, 53, 55,	59, 54, 45
60, 63, 64, 65, 66, 67,	الشمس 3, 15, 21, 22, 43,
68, 69, 71, 73, 75, 77,	الطبيعة.....4, 6, 9, 12,
79, 80, 81, 82, 83, 84,	13, 14, 15, 17, 18, 19,
85, 86	21, 22, 23, 24, 25, 27,
الحق.....2, 3, 8, 9, 40,	30, 32, 33, 35, 37, 42,
52, 54, 58, 63, 82	44, 48, 50, 51, 55, 57,
الحقيقي.....11, 13, 31,	58, 59, 60, 63, 64, 65,
37, 49, 55, 73, 75, 82,	66, 67, 69, 70, 73, 75,
88	78, 80, 81, 83, 86, 87,
	88, 89, 90, 91

العطية.....18, 53, 56	61, 65, 68, 71, 72, 73
73, 57	75, 76, 78, 79, 80, 84
العقل.....3, 13, 40, 80, 86	85, 86, 88, 90, 91
الفضيلة.....1, 27	المُشَرِّع.....44
الكلمة.....3, 10, 21, 22	المعارضون.....36, 37
24, 25, 26, 36, 37, 40	82, 52
52, 53, 55, 58, 76, 82	المعارضين.....2, 5, 16
86, 87, 88, 90	37, 50, 53, 60, 74
الكنيسة.....1, 10, 11	الملائكة.....11, 27, 76
12, 25, 32, 53, 63, 69	الوحيد.....2, 8, 12, 16
70, 73, 75, 80, 84, 86	20, 41, 42, 47, 54, 55
87	56, 59, 62, 70, 73, 74
المتجسد.....10, 19, 23	89, 76
35, 43, 52, 53, 55, 65	إلهية.....7, 9, 12, 17
70, 76, 86	89, 23
المتغير.....63, 90	امراة.....37
المتغيرة.....63	إنسان.....53, 59, 63, 82
المجد.....15, 16, 17	إنساناً.....3, 39, 86
36, 38, 39, 44, 55, 57	إيمان.....11, 53, 70
58, 59, 60, 69, 71, 72	87, 83, 71
84, 85, 89, 90	الإيمان.....1, 3, 6, 7, 10
المخلوق.....10, 11, 62	11, 13, 22, 25, 26, 31
المرأة.....84, 86	36, 43, 55, 66, 69, 70
المسيح.....8, 12, 18	90, 76, 75, 74
19, 23, 24, 30, 31, 32	(ب)
33, 34, 36, 37, 39, 40	بالتبتي.....84
41, 42, 44, 52, 54, 59	

(ت)	(خ)
تجسد 88 ,36 ,21	خادم 80
تجسده 55 ,42	ختم 67
(ث)	خالق 82 ,27 ,26 ,11
ثابتًا 56 ,50	(ذ)
ثابتة 9	ذات 17 ,14 ,5 ,4
ثالث 75 ,25 ,12 ,10	63 ,55 ,43
(ج)	ذاتية 42
جوهر 10 ,5 ,4 ,2	الذاتية 57 ,15
26 ,22 ,19 ,15 ,14 ,12	(ر)
52 ,51 ,49 ,48 ,43 ,41	رأس 86 ,85 ,84 ,10
76 ,71 ,69 ,63 ,55 ,54	الرأس 87 ,84
87 ,85 ,83 ,82 ,81 ,78	رب 20 ,11 ,8 ,6
89	رب 68 ,40 ,38 ,32 ,27 ,25
(ح)	89 ,78 ,77
حق 16 ,14 ,10 ,9 ,2	الرب 11 ,10 ,8 ,7 ,6
52 ,48 ,44 ,39 ,36 ,24	39 ,38 ,34 ,32 ,20 ,15
78 ,76 ,70 ,67 ,56 ,55	76 ,74 ,71 ,63 ,54 ,45
88 ,83 ,80	82 ,77
حكمة 52	رجل 84
حياة 51 ,50 ,47 ,1	الرجل 86 ,85 ,84
77 ,69 ,52	رسم 15
حي 71 ,52 ,51 ,50 ,49	

(س)	سلطان.....37, 39, 44	28, 34, 43, 46, 48, 49
	76, 77	51, 54, 56, 57, 62, 64
(ع)	السلطان.....37, 39, 62	69, 81, 83, 85, 86, 87
	سلطة.....74, 48	88
	72, 79	(ع)
	السلطة.....74	عطية.....56, 72, 73
(ش)		82, 89, 90
	شخص.....14, 29, 35	عقل.....5, 13, 51, 53
	86, 82, 83	(ك)
	شركاء.....19, 23, 24	كائن.....3, 6, 7, 15
	69, 73	20, 35, 40, 42, 51, 79
	شعاع.....3, 21, 34	82, 87, 89, 90
	الشعاع.....3, 22, 33	كخادم.....20, 74, 81
(ص)		كلمة.....1, 2, 8, 9, 26
	صانع.....29	42, 58, 59, 68, 76, 87
	الصانع.....29	كنيسة.....80, 89
	صورة.....26, 27, 28	(ل)
	30, 31, 39, 53, 54, 62	للتبتي.....83
	66, 67, 86	(م)
	طبيعة.....2, 3, 5, 7, 8, 9	متغير.....20, 82
(ط)	10, 12, 13, 14, 16, 18	متغيرة.....9
	19, 20, 21, 22, 23, 25	مجد.....2, 9, 31, 34
		40, 43, 46, 53, 54, 56
		57, 68, 74, 79, 80

المولود.....3, 4, 5, 56,	مخلوق.....5, 10, 23,
90, 71	43, 51, 70, 83, 85, 86,
(ن)	90, 88
نؤمن.....6, 11, 12, 14,	المخلوقات.....3, 5, 7, 9,
15, 18, 25, 26, 34, 37,	10, 12, 15, 16, 22, 23,
42, 46, 49, 67, 68, 75,	25, 28, 31, 33, 43, 50, 57,
76, 79, 80, 81, 82, 83,	58, 59, 64, 69, 70, 82,
نعمة.....18, 62, 73, 90,	84, 85, 86, 87, 88,
النعمة.....18, 56, 70,	المخلوقة.....7, 13, 30,
79, 73, 71	75, 57
نور.....3, 21, 43,	مساو.....5, 9, 10, 19,
النور.....3, 7, 33, 43,	20, 26, 57, 86,
82, 47	مشيئة.....1, 60,
(و)	ملء.....16, 17, 19,
واحد.....2, 4, 6, 7, 9,	20, 40, 55, 74, 78,
10, 11, 12, 14, 18, 19,	ملئه.....16, 73,
20, 21, 22, 23, 24, 25,	ملاك.....11,
26, 28, 29, 32, 34, 35,	ملح.....30,
36, 38, 39, 45, 46, 49,	ملحه.....29, 30,
50, 54, 55, 59, 63, 68,	الملح.....31,
69, 71, 73, 74, 75, 78,	موت.....53,
79, 82, 83, 87, 88,	الموت.....12, 36, 37,
الواحد.....7, 11, 12, 14,	46, 47, 48, 51, 53, 72,
16, 19, 24, 25, 27, 28,	73, 86, 88,
31, 36, 50, 63, 66, 67,	مولود.....4, 15, 55,
71, 73, 78,	

يسوع.....8, 18, 32,	وَلَدَهُ.....4, 7, 14, 15,
39, 52, 54, 59, 73, 90,	25, 33, 35, 42, 46, 52,
91	74, 82, 83, 87, 90
يُغَيَّرُ 88	مَشْرَعًا 41, 42, 43
يَقْدَسُ 64	(ي)
يَمْلَأُ.....16, 24	يَحِلُّ 80
	يُحْيِي 27, 49, 71

فهرس للتشبيهات

الصفحة

المنزل المعتم.....	43
النار والحرارة.....	51
الشعاع والنور.....3، 33	
الشمس.....	21
صانع التماثيل النحاسية.....	29
النبات وثماره.....	33
أصل الشجرة وفرعها.....	33
نبع الماء.....	33

فهارس النصوص الآبائية

1 - فهرس لشواهد¹ من كتابات القديس كيرلس الأخرى لها مقابل في نص هذا الحوار

1 - حوار حول الثالوث²: الحوار الأول والثاني

ح 1 ص 17	ح 2 ص 56	ح 2 ص 2
ح 1 ص 30	ح 2 ص 63	ح 2 ص 33
ح 1 ص 32	ح 2 ص 85	ح 2 ص 15
ح 1 ص 49	ح 2 ص 92.91	ح 2 ص 13
	ح 2 ص 104	ح 2 ص 3

2 - شرح إنجيل يوحنا³:

ح 1 ص 29	ح 2 ص 27	ح 2 ص 76
ح 1 ص 31	ح 2 ص 105	ح 2 ص 49
ح 1 ص 40	ح 2 ص 106	ح 2 ص 37
ح 1 ص 46		
ح 1 ص 53	ح 3 ص 159	ح 3 ص 52 و 49
ح 1 ص 60	ح 3 ص 161.160	ح 3 ص 50
ح 1 ص 64		
ح 1 ص 72.67	ح 4 ص 35 و 36	ح 4 ص 35
ح 1 ص 87.73		

¹ هذه الشواهد وردت في هوامش الكتاب في الصفحات المُشار لأرقامها أمام كل منها.

² إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية سنة 1999.

³ إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية سنوات 1989، 1995، 1998، 2000، 2003.

ج 1 ص 103	ج 5 ص 149	ج 1 ص 77
ج 1 ص 124	ج 5 ص 159	ج 5 ص
ج 1 ص 138		

3 - تفسير إنجيل لوقا¹:

ج 1 ص 42	ج 1 ص 42
ج 1 ص 116	ج 1 ص 40

4 - جلافيرا (تعليقات لامعة):

ج 1 ص 12	ج 1 ص 12
ج 1 ص 86	ج 1 ص 86

5 - السجود والعبادة بالروح والحق²:

ج 1 ص 27	ج 1 ص 27
ج 1 ص 61	ج 1 ص 61
ج 1 ص 65	ج 1 ص 65

6 - رسائل القديس كيرلس³:

ج 1 ص 15	ج 1 ص 15
ج 1 ص 55	ج 1 ص 55

¹ إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية سنوات 1990، 1992، 1996، 1998، 2001.

² إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية سنوات 2001، 2002، 2003، 2004.

³ إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، سنوات 1988، 1989، 1995، 1997.

2 - فهرس لشواهد¹ من كتابات القديس أثناسيوس الرسولى لها مقابل فى نص هذا الحوار

1 - الرسالة إلى الوثنيين² ص75

2 - تجسد الكلمة³:

المقدمة ص36

ف7/15 ص88

ف5/32 ص21

3 - المقالات ضد الأريوسيين⁴:

33 14ف/2	55 2ف/1
21 33/2	53 3ف/1
3 35/2	87 5/1
11 42/2	53 و 54 11ف/1
86 64 و 62/2	83 16 و 14/1
5 1/3	19 16/1
10 3/3	67 18/1
4 4/3	81 20 و 19/1
61 20/3	39 54/1
		65 2ف/2

¹ هذه الشواهد وردت فى هوامش الكتاب فى الصفحات المشار لأرقامها أمام كل منها.

² إصدار مكتبة المحبة سنة 1981.

³ إصدار المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية سنة 2002

⁴ إصدار المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية بالقاهرة سنوات 1994، 2002، 2004.

4 - رسائل عن الروح القدس للأسقف سيرايبون¹:

24 و 18 و 12 ص	30/1	22 و 69 ص	2/1
18 ص	3130/1	3 و 21 ص	16/1
21 ص	2/2	13 ص	17/1
59 ص	4/2	3 و 21 و 61 ص	19/1
10 و 7 ص	5/2	3 و 13 و 21 ص	20/1
67 ص	3	28 ص	23/1
68 ص	1/3	23 ص	24/1
60 و 31 ص	3/3	28 ص	27/1
7 ص	4/3	75 و 11 و 25 ص	28/1
91 و 2 ص	5/3	25 و 12 ص	29/1
8 ص	4	21 ص	30/1

3 - فهرس لشواهد² من نصوص أبائية أخرى لها مقابل في نص هذا الحوار

26 ص	+ رسالة برنابا
51 و 26 ص	+ يوستين: الحوار مع تريفو
26 ص	+ إيريناوس: ضد الهرطقات (الكتاب الرابع)
26 ص	+ ترتليان: ضد ماركيون (الكتاب الخامس)
13 ص	+ هيلاري أسقف بواتيه: (عن الثالث)
21 ص	+ غريغوريوس النيسى: ضد أفنوميوس (الكتاب الثامن)
24 ص	+ أمبروسيوس: الروح القدس (الكتاب الأول)
26 ص	(الكتاب الثاني)
26 ص	+ ذهبي الفم: على سفر التكوين (العظة الثانية)

¹ إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية سنة 1994.

² هذه الشواهد وردت في هوامش الكتاب في الصفحات المشار لأرقامها أمام كل منها.

فهرس لشواهد¹ من كتابات القديس كيرلس الأخرى

لها مقابل فى نص هذا الحوار

1 - حوار حول الثالوث²: الحوار الأول والثانى

ح 1 ص 17	ح 2 ص 56	ح 2 ص 2
ح 1 ص 30	ح 2 ص 63	ح 2 ص 33
ح 1 ص 32	ح 2 ص 85	ح 2 ص 15
ح 1 ص 49	ح 2 ص 92-91	ح 2 ص 13
	ح 2 ص 104	ح 2 ص 3

2 - شرح إنجيل يوحنا³:

ج 1 ص 29	ج 2 ص 27	ج 2 ص 76
ج 1 ص 31	ج 2 ص 105	ج 2 ص 49
ج 1 ص 40	ج 2 ص 106	ج 2 ص 37
ج 1 ص 46		
ج 1 ص 53	ج 3 ص 159	ج 3 ص 52 و 49
ج 1 ص 60	ج 3 ص 161-160	ج 3 ص 50
ج 1 ص 64		
ج 1 ص 72-67	ج 4 ص 36 و 35	ج 4 ص 35
ج 1 ص 87-73		
ج 1 ص 103	ج 5 ص 149	ج 5 ص 77

¹ هذه الشواهد وردت فى هوامش الكتاب فى الصفحات المُشار لأرقامها أمام كل منها.

² إصدار المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية سنة 1999.

³ إصدار المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية بالقاهرة سنوات 1989، 1995، 1998، 2000،

2003.

ج 1 ص 124	ج 5 ص 159	ص 5
ج 1 ص 138	ص 17	

3 - تفسير إنجيل لوقا¹:

ج 1 ص 42	ص 42
ج 1 ص 116	ص 40

4 - جلافيرا (تعليقات لامعة):

ج 1 ص 12	ص 12
ج 1 ص 86	ص 86

5 - السجود والعبادة بالروح والحق²:

ج 1 ص 28	ص 27
ج 1 ص 61	ص 53
ج 1 ص 65	ص 65

6 - رسائل القديس كيرلس³:

ج 1 ص 17	ص 2
ج 1 ص 55	ص 1 و 6

¹ إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية سنوات 1990، 1992، 1996، 1998، 2001.

² إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية سنوات 2001، 2002، 2003، 2004.

³ إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، سنوات 1988، 1989، 1995، 1997.

فهرس لشواهد¹ من كتابات القديس أثناسيوس الرسولى لها مقابل فى نص هذا الحوار

1 - الرسالة إلى الوثنيين² ص75

2 - تجسد الكلمة³:

المقدمة ص36

ف7/15 ص88

ف5/32 ص21

3 - المقالات ضد الأريوسيين⁴:

33 14ف/2	55 2ف/1
21 33/2	53 3ف/1
3 35/2	87 5/1
11 42/2	54و53 11ف/1
86 64و62/2	83 16و14/1
5 1/3	19 16/1
10 3/3	67 18/1
4 4/3	81 20و19/1
61 20/3	39 54/1
		65 2ف/2

¹ هذه الشواهد وردت فى هوامش الكتاب فى الصفحات المشار لأرقامها أمام كل منها.

² إصدار مكتبة المحبة سنة 1981.

³ إصدار المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية سنة 2002

⁴ إصدار المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية بالقاهرة سنوات 1994، 2002، 2004.

4 - رسائل عن الروح القدس للأسقف سيرايبون¹:

24 و 18 و 12 ص	30/1	22 و 69 ص	2/1
18 ص	3130/1	3 و 21 ص	16/1
21 ص	2/2	13 ص	17/1
59 ص	4/2	3 و 21 و 61 ص	19/1
10 و 7 ص	5/2	3 و 13 و 21 ص	20/1
67 ص	3	28 ص	23/1
68 ص	1/3	23 ص	24/1
60 و 31 ص	3/3	28 ص	27/1
7 ص	4/3	75 و 11 و 25 ص	28/1
91 و 2 ص	5/3	25 و 12 ص	29/1
8 ص	4	21 ص	30/1

فهرس لشواهد² من نصوص آباءية أخرى لها مقابل في نص هذا الحوار

26 ص	+ رسالة برنابا
51 و 26 ص	+ يوستين: الحوار مع تريفو
26 ص	+ إيريناوس: ضد الهرطقات (الكتاب الرابع)
26 ص	+ ترتليان: ضد ماركيون (الكتاب الخامس)
13 ص	+ هيلاري أسقف بواتيه: (عن الثالوث)
21 ص	+ غريغوريوس النيسى: ضد أفنوميوس (الكتاب الثامن)
24 ص	+ أمبروسيوس: الروح القدس (الكتاب الأول)
26 ص	(الكتاب الثاني)
26 ص	+ ذهبي الفم: على سفر التكوين (العظة الثانية)

¹ إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية سنة 1994.

² هذه الشواهد وردت في هوامش الكتاب في الصفحات المشار لأرقامها أمام كل منها.

+ الخولاجى ص 20 و 73